

مستوحاة من مسابقة نبي السلام الشعرية ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م

د. عباس توفيق





نشر إلكترونيا في جماد الثاني، ١٤٣٥/أبريل، ٢٠١٤.

الإخراج الفني: فوزية الألمعي.
تصميم الغلاف: إدريس يحيى.
التدقيق اللغوي: د. نونج لكسنأ كاما.

محتـــويات الكتـــــاب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

السؤال الأول

مولدُ النورِ كانَ في أي عامِ؟ منْ عليهِ الصلاةُ قبلَ السلامِ

والدلالاتُ عنهُ كيفَ تَجَلتْ؟ عنْ أمورٍ موثقاتٍ عظامِ

ما تُرى منهُ نال إيوان كسرى ثُم ماذا قدْ حل بالأصنامِ؟

والشياطينُ أي خطبٍ دهاها؟ وخمودُ النيران بعدَ اضطرامِ

س: مولدُ النورِ كانَ في أي عامِ؟

ج: اتفق علماء السيرة على أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولد في يوم الاثنين من شهر ربيع الأول من عام الفيل، والأكثرون على أنه في ليلة الثاني عشر منه (السيرة النبوية لابن هشام ١: ١٥٨، تاريخ الطبري ٢: ١٥٤-١٥٧، صحيح السيرة النبوية لإبراهيم العلي ٣٦، وغيرها). وحصلت واقعة الفيل عام ٥٧٠ أو ٥٧١ ميلادية، وبتحويل التاريخ فإن ولادته الشريفة كانت تقريباً في يوم ٢٢ نيسان/ إبريل ٥٧١ ميلادية.

وفي قول الشاعر "مولد النور" التفاتٌ إلى كون رسول الله صلى الله عليه وسلم المصدر الذي أضاء الله تعالى به الطريق للناس وأخرجهم به من الظلمات إلى النور. وقد يكون فيه التفاتٌ إلى قول الله تعالى في سورة المائدة﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ

جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾(المائدة ١٥). وذكر الطبري في تفسيره لهذه الآية الكريمة (١٠: ١٤٤) أن المراد بالنور هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وجعل القرطبي ذلك أحد الأقوال فيها (الجامع لأحكام القرآن ٦: ٨٢)، وصرّح الشيخ أحمد مصطفى المراغي من مفسري القرن العشرين في تفسيره أن " النور هو النبي صلى الله عليه وسلم وسُمّي بذلك لأنه للبصيرة كالنور للبصر، فكما أنه لولا النور ما أدرك البصر شيئاً من المبصرات كذلك لولا ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من القرآن والإسلام لما أدرك ذو البصيرة من أهل الكتاب ولا من غيرهم حقيقة الدين الحق...والكتاب المبين هو القرآن الكريم" (تفسير المراغي ٦: ٨٠).

وفي قوله: "من عليه الصلاة قبل السلام" التفاتٌ إلى قوله تعالى في الآية ٥٦ من سورة الأحزاب:﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ فأمر سبحانه بالصلاة عليه أولاً ثم بالسلام، والصيغ التي يتبعها المسلمون في تنفيذ الأمر جارية على هذا الترتيب: الصلاة قبل السلام فيقولون كما هو معلوم: صلى الله عليه وسلم، أو عليه الصلاة والسلام.

س: والدلالاتُ عنهُ كيفَ تَجَلتْ؟

ج: أورد ابن هشام أن آمنة كانت تُبشّر في مناماتها بأنها حامل بسيد هذه الأمة (السيرة النبوية لابن هشام ١: ١٥٨،١٦٠). وعندما ولد عليه الصلاة والسلام أضاء لها نورُ قصورَ الشام، فقد سُئِل عليه الصلاة والسلام عن مبْدء أمره فقال: " دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى، ورؤيا أمي رأت حين ولدتني كأنها خرج منها نورٌ أضاءت له قصور الشام" (الرد على البكري لابن تيمية ٦١، لطائف المعارف ١٥٨، البحر الزخار ١٠: ١٣٥، دلائل النبوة للبيهقي ١: ٨٠، وغيرها).

وروَت حليمة السعدية عن أمه عليه الصلاة والسلام أنها قالت لها: " رأيتُ حين حملتُ به أنه خرج مني نور أضاء لي قصور قصرى من أرض الشام، ثم حملت به فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخفَّ ولا أيسرَ منه، ووقع حين ولدته وإنه لواضعٌ يديه بالأرض رافعٌ رأسه إلى السماء" (السيرة النبوية لابن هشام ١: ٢١٤).

ومما صحّ أيضاً من الآيات الواقعة ليلة مولده عليه الصلاة والسلام ما رواه "محمد بن إسحاق عن حسان بن ثابت قال (إسناده حسن): والله إني لغلام يفعة ابن سبع سنين أو ثمان، أعقل كل ما سمعت إذ سمعت يهودياً يصرخ بأعلى صوته على أطمة بيثرب: يا معشر يهود! حتى إذا اجتمعوا إليه قالوا له: ويلك مالك؟! قال طلع الليلةَ نجمُ أحمد الذي ولد به. وروى أبو نعيم ومحمد بن حيان عن أسامة بن زيد قال قال زيد بن عمرو بن نفيل (سنده حسن) قال لي حبر من أحبار الشام: قد خرج في بلدك نبي، أو هو خارج، قد خرج نجمه فارجع فصدقه واتبعه" (صحيح السيرة النبوية للألباني ص ٧).

س: ما تُرىَ منهُ نال إيوان كسرى؟

ج: نقل الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي بسنده عن مخزوم بن هاني المخزومي عن أبيه أنه قال: " لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتجس إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام" (هواتف الجان ١: ٥٧)، وقد نسب مثل هذا الخبر إلى آخرين أيضاً كالبيهقي (الرحيق المختوم ٤٥) ولكن الألباني قال عن هذه الدلالات: " ليس فيه شيء" (صحيح السيرة النبوية للألباني ص ٨).

س: ثُم ماذا قدْ حل بالأصنام؟ والشياطينُ أي خطبٍ دهاها؟

ج: أورد السيوطي في الخصائص الكبرى رواية عن عمرو بن قتيبة فيها بعض التفصيل لِمَا حصل حين حضرتْ ولادة آمنة، وفيما رواه جواب عن هذين السؤالين، ومما جاء فيه أن الشيطان أُخذ " فغُلَّ سبعين غلاً وأُلقي منكوساً في لجة البحر الخضراء، وغُلّت الشياطين والمرَدَة.... ونُكّست الأصنام كلها وأما اللات والعُزّى فإنهما خرجا من خزانتهما وهما يقولان: ويح قريش جاءهم الأمين جاءهم الصدّيق، لا تعلم قريش ماذا أصابها. وأما البيت فأياماً سمعوا من جوفه صوتاً وهو يقول: الآن يُرَدُّ عليَّ نوري، الآن يجيئني زوّاري، الآن أُطهّرُ من أنجاس الجاهلية، أيتها العزى هلكتِ، ولم تسكن زلزلة البيت ثلاثة أيام ولياليهن. وهذا أول علامة رأت قريش من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم" (الخصائص الكبرى ١: ٤٧). ولكن السيوطي حكم على هذا الحديث بأن فيه نكارة شديدة. ولم يصح لذلك، والله أعلم، غير ما أوردته من قبل من دلائل وبشارات.

السؤال الثاني

كانَ لَما يَزَلْ يتيماً صغيرا صَدتْ المرضعاتُ عنهُ فقيرا

ثُم عادتْ لهُ عقيلةُ قومٍ نالت الحظ أنْ تضم العبيرا

وقعتْ عينها على خير وجهٍ معهُ نالت الرضا والسرورا

منْ تُرىَ إسمها التي أرضعتهُ وإلى منْ كانتْ تحث المسيرا؟

منْ أخوهُ وأختهُ منْ رضاعٍ؟ ما الذي أبصراهُ يوماً حضورا؟

يتحدث الشاعر عن قدوم النسوة من البوادي إلى مكة ليأخذن أطفالاً يتولين إرضاعهم ويكتسبن في مقابل ذلك أجراً. وجاءت نسوة من بني سعد بن بكر لهذا الغرض في سنة مجدبة، وقد عُرض رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم عليهن جميعاً فأبَينَه لكونه يتيماً ولأنهن كنّ يطمعن في خيرٍ ينلنه من الآباء لا يبذله فيما حسبْن الجد أو الأم. ويستوحي البيتان الثاني والثالث ما روته السيدة حليمة السعدية حيث قالت إنها خرجت على أتان لها أبيض اللون مجهد القوى ومعها ناقة شارفت على الهلاك، وذكرت أنها وزوجها ما كانا ينامان من بكاء صغيرهما مما به من جوع ولم يكن في ثديها ما يغنيه ولا في شارفها ما يغذيه. وفي مكة عُرض عليها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كما عُرض على غيرها فأبَيْنه ليُتْمه. " فما بقيت امرأةٌ قدمت معي إلا أخذت رضيعاً غيري فلما أجمعنا الانطلاق قلتُ لصاحبي: والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعاً، والله لأذهبنّ إلى ذلك اليتيم فلآخذنه، قال لا عليك أن تفعلي وعسى الله أن

يجعل لنا فيه بركة، قالت: فذهبت إليه فأخذته، وما حملني على أخذه إلا أني لم أجد غيره، قالت فلما أخذته رجعت به إلى رحلي فلما وضعته في حجري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن فشرب حتى روي وشرب معه أخوه حتى روي ثم ناما، وما كنا ننام معه قبل ذلك. وقام زوجي إلى شارفنا تلك فإذا إنها لحافل فحلب منها ما شرب وشربت معه حتى انتهينا رياً وشبعاً فبتنا بخير ليلة. قالت: يقول صاحبي حين أصبحنا: تعلمي والله يا حليمة لقد أخذت نسمة مباركة قالت فقلت والله إني لأرجو ذلك. ثم خرجنا وركبتُ أتاني وحملته عليها معي فوالله لقطعت بالركب ما يقدر عليها شيء من حمرهم حتى إن صواحبي ليقلن لي: يا ابنة أبي ذؤيب ويحك! اربعي علينا أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها؟ فأقول لهن: بلى والله إنها لهي هي، فيقلن: والله إن لها لشأناً...ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد وما أعلم أرضاً من أرض الله أجْدب منها فكانت غنمي تروح عليَّ حين قدمنا به معنا شباعاً لُبّناً فنحلب ونشرب، وما يحلب إنسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم: ويلكم! اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب" (السيرة النبوية لابن هشام ١: ٢١١-٢١٣. وإسناد هذه الرواية ضعيف، ففي إسناده جهم الجمحي وهو في عداد المجهولين والواقدي وهو متروك كما أن في سنده انقطاعاً. وللكثير من مقاطع هذه الرواية شواهد تقويه وردَت في عدد من كتب الحديث بحيث يصير الحديث حسناً بشواهده).

س: منْ تُرىَ إسمها التي أرضعتهُ؟

ج: التي أرضعته، بما يتوافق مع الأبيات السابقة على هذا البيت المتضمن للسؤال، هي حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية. وأما من أرضعته أولاً بعد أمه ولعدة أيام

فهي ثويبة مولاة أبي لهب، وكانت قد أرضعت حمزة قبله وأرضعت أبا سلمة بعده.

س: وإلى منْ كانتْ تحث المسيرا؟

ج١: أسرعت ثويبة إلى سيدها أبي لهب لتبشره بمولده عليه الصلاة والسلام (الروض الأنف للسهيلي ٥: ١٩٢).

ج٢: يُحتمل في حث حليمة للمسير أشياء:
- إلى بلادها بادية بني سعد وقد رأت بركة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منذ أن وضعته في حِجرها.
- إلى زوجها الحارث بن عبد العزى بن رفاعة، وهي فرِحة به بعد أن اتفقا على أن تعود إلى اليتيم لتأخذه.
- إلى أمه صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن أكمل السنتين من عمره حريصةً على أن تردّه معها.
- إلى أمه عليه الصلاة والسلام بعد حادثة شقّ صدره الشريف ظنّاً منها أنه أُصيب (السيرة النبوية لابن هشام ١: ٢١٤، تاريخ الطبري ٢: ١٣٦).
- إنها عندما عادت به ضاع منها فلم تجده فأتت عبد المطلب وأخبرته فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله أن يردّه فعاد به ورقة بن نوفل ورجل من قريش إليه ثم أرسل به إلى أمه آمنة. (السيرة النبوية لابن هشام ١: ٢١٨). وهذا الخبر ضعيف جدا وقد أورده ابن كثير في البداية والنهاية ٢: ٢٧٧، وأخرجه البيهقي في الدلائل ١: ١٣٩-١٤٥، وقال عن أحد رواته وهو محمد زكريا الغلابي إنه متهم.
- روى ابن إسحاق عن بعض أهل العلم أن مما هيج أمه السعدية على رده إلى أمه أن نفراً من نصارى الحبشة رأوه معها حين رجعت به بعد فطامه فنظروا إليه وسألوها عنه وقلبوه ثم قالوا لها: "لنأخذنّ هذا الغلام فلنذهبن به إلى ملكنا

وبلدنا، فإن هذا غلام كائنٌ له شأن نحن نعرف أمره، فزعم الذي حدثني أنها لم تكد تنفلت به منهم" (السيرة النبوية لابن هشام ١: ٢١٩). وهذا خبر ضعيف.

س: منْ أخوهُ وأختهُ منْ رضاع؟

ج: لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخوان في الرضاعة من ثويبة هما حمزة بن عبد المطلب وأبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي، وله من حليمة السعدية أخ واحد هو عبد الله بن الحارث واختان هما أنيسة بنت الحارث وخِذامة بنت الحارث وخِذامة هي الشيماء وكانت تحضنه مع أمها إذ كان عندهم (نفسه ١: ٢١٠).

س: ما الذي أبصراهُ يوماً حضورا؟

ج: رأى أخوه حادثة شق صدره الشريف، فقد روى ابن إسحاق حديثاً، وحسِبَ ابنُ هشام أنه عن خالد بن معدان الكلاعي، وفيه أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: "واسترضعتُ في بني سعد بن بكر، فبينا أنا مع أخٍ لي خلف بيوتنا نرعى بهماً لنا إذ أتاني رجلان عليهما ثيابٌ بيض بطستٍ من ذهب مملوءة ثلجاً فأخذاني فشقا بطني واستخرجا قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنقياه" (نفسه ١: ٢١٦، البداية والنهاية ٢: ٢٥٤). وقد أورد الإمام مسلم في صحيحه الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه وفيه أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يلعب مع الغلمان ولم يرد ذكر أخٍ له في هذه الرواية (صحيح مسلم حديث رقم ١٦٢)، ولم يرد أن أخته شهدت هذه الحادثة.

السؤال الثالث

في صباهُ أكرمْ بِه في صباهُ حينَ آواهُ ربهُ واجتباهُ

كمْ تُرى سنّه وقدْ فارقتهُ أمهُ ثم منْ تُرى رَباه؟

كافلاً كاملَ الصفاتِ المُصفّى ثُم منْ بعدهُ لهُ أدناهُ؟

وإلى الشامِ حينَ سارَ صغيراً منْ هوَ الراهبُ الذي قدْ رآهُ؟

وبماذا وصىَ وخافَ عليهِ؟ قبلَ أنْ يُكملَ الزمانُ خُطاَهُ

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحيا في عناية الله تعالى به منذ أن حملت به أمه ، فقد أورد ابن هشام ما روي عن آمنة بنت وهب من أنها كانت تُحدّث أنها أُتيت حين حملت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقيل لها: " إنك قد حملت بسيد هذه الأمة فإذا وقع إلى الأرض فقولي: أعيذه بالواحد من شر كل حاسد ثم سَمّيه محمداً" (السيرة النبوية لابن هشام ١: ٢٠٦-٢٠٧). وذكر محقق الكتاب أن الحديث صحيح وورد عن عدة من الصحابة كالعرباض بن سارية وأبي أمامة الباهلي وأبي مريم الغساني (نفسه، الهامش). وروت مرضعته السعدية أنه كان يشبّ شباباً لا يشبّه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً ممتلئ الجسد (السيرة النبوية لابن هشام ١: ٢١٣).

س: كمْ تُرىَ سنّه وقدْ فارقتهُ أمهُ ثم منْ تُرى رَباه؟

ج: كان عمره ستة أعوام عندما توفيت أمه عليه الصلاة والسلام ثم رباه جده عبد المطلب، واسمه شيبة ويلقب بشيبة الحمد.

إنه ولد يتيماً صلى الله عليه وآله وسلم فتولته أمه وجده عبد المطلب الذي كان حدِباً عليه. ولما بلغ ست سنين توفيت أمه آمنة بنت وهب (السيرة النبوية لابن هشام ١: ٢١٩، تاريخ الطبري ٢: ١٣٩) فصار في كفالة جده وزادت رقته وحدبه عليه. وقال ابن إسحاق إنه كان لعبد المطلب فراشٌ في ظل الكعبة وكان بنوه لا يجلسون على ذلك الفراش إجلالاً لأبيهم بل يجلسون حوله ينتظرونه، وكان "رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأتي وهو غلام جفر حتى يجلس عليه فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابني، فوالله إن له لشأناً ثم يجلسه معه على الفراش ويمسح ظهره بيده ويسرّه ما يراه يصنع" (السيرة النبوية لابن هشام ١: ٢٢٠). ونقل هذا الخبر عن ابن إسحاق كل من ابن سعد في طبقاته (١: ١١٧-١١٨) وابن كثير في البداية والنهاية (٢: ٢٨١).

س: ثُم منْ بعدهُ لهُ أدناهُ؟

ج: عمه أبو طالب، واسمه عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم.

لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثماني سنوات توفي جده عبد المطلب (السيرة النبوية لابن هشام ١: ٢٢٠، تاريخ الطبري ٢: ١٣٩، دلائل النبوة للبيهقي ١: ١٨٨)، وقد أوصى قبل وفاته أن يقوم أبو طالب برعاية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأنه وعبد الله من أم واحدة هي فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم (السيرة النوية لابن هشام ١: ٢٣٤، تاريخ الطبري ٢:

١٤٠، البداية والنهاية ٢: ٢٨٢). ومن هنا كان إيواء ربه له في طفولته اليتيمة، وهو ما امتنّ الله به على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سورة الضحى ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى* وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾ (الضحى ٥-٦) (ويُنظر للربط بين الإيواء وهذه الآية الشريفة تفسير ابن كثير ٤: ٤٤٩). وهي الآية التي التفت السؤال إليها في الشطر الثاني من البيت الأول.

س: منْ هوَ الراهبُ الذي قدْ رآهُ؟

ج: الراهب بحيرى (بحيرا).
وردت أخبار عديدة عن فراسة البعض في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مثل ما قاله نصارى الحبشة لأمه السعدية، وهو ما ذكرناه من قبل، وما كان يقوله عبد المطلب، وما روي أن رجلاً عائفاً من لهب كان قد نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع عمه أبي طالب ثم شغله عنه شاغل فلما فرغ طلب أن يُؤتَى به ولما رأى أبو طالب حرص العائف عليه غيّبه عنه وجعل العائف "يقول: ويلكم! ردوا عليّ الغلام الذي رأيت آنفاً فوالله ليكونن له شأن، فانطلق به أبو طالب" (السيرة النبوية لابن هشام ١: ٢٣٥)، وإسناد هذا الخبر ضعيف لكون شيخ عباد بن عبد الله، أحد رجال السند، مجهولاً.
ومن هذه الفراسة ما توسّمه الراهب بحيرى فيه عليه الصلاة والسلام عندما التقى به في رحلته برفقة عمه أبي طالب إلى الشام، وكان يومئذ في التاسعة أو في الثانية عشرة من عمره. وقد استدل الراهب على أن يكون الغلام هو النبي الموعود بالغمامة التي كانت تظله صلى الله عليه وآله وسلم وبالشجرة التي مالت بأغصانها عليه ليستظل تحتها وبعلمه السابق عن أوان مبعث النبي الجديد. فصنع طعاماً للقافلة وكانت مناسبة للحديث مع النبي عليه الصلاة والسلام ليتحقق من العلامات الأخرى التي كان يعرفها عنه، وبعد أن تأكد أنه هو " أقبل

على عمه أبي طالب فقال له: ما هذا الغلام منك؟ قال ابني، قال له بحيرى: ما هو بابنك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً، قال: فإنه ابن أخي، قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمه حبلى به، قال: صدقت" (السيرة النبوية لابن هشام ١: ٢٣٦-٢٣٨).

س: وبماذا وصىَ وخافَ عليهِ؟

ج: وصّى بحيرى (بحيرا) أبا طالب بأن يعود برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى بلده وأن يحذر عليه اليهود.
قال الراهب لأبي طالب: "فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفتُ ليبغنّه شراً، فإنه كائنٌ لابن أخيك هذا شأنٌ عظيم فأسرِعْ به إلى بلاده، فخرج به عمه أبو طالب سريعاً حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام" (السيرة النبوية لابن هشام ١: ٢٣٦-٢٣٨). ونقل البيهقي في دلائل النبوة ٢: ٢٦ وابن كثير في البداية والنهاية ٢: ٢٨٣ هذه القصة عن ابن إسحاق، وقال ابن كثير في المصدر ذاته ٢: ٢٨٤: هكذا ذكر ابن إسحاق هذا السياق من غير إسناد منه. وقد روى نحوه الحافظ الخرائطي من طريق يونس بن أبي إسحاق عن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري عن أبيه، وعلق الألباني على هذه الرواية في صحيح السيرة النبوية بأنها من مرسلات الصحابة، " فإن أبا موسى الأشعري إنما قدم خيبر في سنة سبع من الهجرة، فهو مرسل، فإن هذه القصة كانت ولرسول الله صلى الله عليه وسلم من العمر فيما ذكره ثنتا عشرة سنة، ولعل أبا موسى تلقاه من النبي صلى الله عليه وسلم فيكون أبلغ، أو من بعض كبار الصحابة رضي الله عنهم، أو كان هذا مشهوراً مذكوراً أخذه من طريق الاستفاضة" (صحيح السيرة النبوية للألباني ١٥). وقد ورد في بعض كتب الحديث والسيرة التي اعتمدها إبراهيم العلي أن أبا طالب ردّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعث معه أبا بكر وبلالاً وأن الراهب زوّدهم من الكعك والزيت (صحيح السيرة النبوية لإبراهيم العلي ٤٤).

السؤال الرابع

شَهِدَ الزمانُ وللحوادثِ أوّل	ماكانَ خيرُ الخلق حَقا يَفعَلُ؟
ماكانَ أجرَةُ جُهدهِ في جَهدِهِ؟	لَما بدىَ ولَداً صغيراً يعملُ
ما العبرةُ الكبرىَ بذلكَ عندما	وردَ الحديثُ بحكمةٍ لا تُجْهَلُ
فالأنبياء المرسلونَ جميعهمْ	عملوا بهِ وكذا الشفيعُ المُرسَلُ

س: ماكانَ خيرُ الخلق حَقا يَفعَلُ؟

ج: بدأ عليه الصلاة والسلام في صغره العمل برعي الغنم.

س: ماكانَ أجرَةُ جُهدهِ في جَهدِهِ؟

ج: كانت أجرته قراريط.

وقد ذكر ذلك لأصحابه في الحديث الذي رواه البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: " ما بعَثَ الله نبياً إلا رعى الغنم، فقال أصحابه: وأنتَ؟ فقال: نعم كنتُ أرعاها على قراريطَ لأهل مكة" (صحيح البخاري حديث رقم ٢١٨٥). وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح

الباري إن "على بمعنى الباء وهي للسببية أو المعارضة، وقيل إنها للظرفية" (فتح الباري، كتاب الاجارة باب رعي الغنم على قراريط ٤: ٥١٦، وورد الحديث بلفظ: كنت أرعى لأهل مكة بالقراريط، ينظر تاريخ دمشق ٤: ٨٦).

وذكر العسقلاني أن الحديث في رواية ابن ماجه " كنت أرعاها لأهل مكة بالقراريط، يعني كل شاة بقيراط، والقيراط هو جزء من الدينار أو الدرهم، وأما على تأويل الظرفية فبمعنى أنه كان يرعى الغنم في مكان بمكة يسمى قراريط (نفسه). ووردت أحاديث أخرى عن رعْيِهِ عليه الصلاة والسلام للغنم، كشأن الأنبياء السابقين ولكن دون ذكر القراريط كالحديث المروي عن عبد الرحمن بن عوف في حلية الأولياء ٧: ٢٨١ ومجمع الزوائد ٨: ٢٣٢، وعن جابر بن عبد الله في إتحاف الخيرة المهرة للبوصيري ٧: ٢٥، وعن أبي هريرة في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٩: ١٤٦، وغيرها.

س:

ما العبرةُ الكبرى بذلكَ عندما وردَ الحديثُ بحكمةٍ لا تُجْهَلُ

فالأنبياء المرسلونَ جميعهمْ عملوا بهِ وكذا الشفيعُ المُرسَلُ

ج: ذكر العسقلاني الحكمة من رعي الأنبياء للغنم قائلاً: " قال العلماء: الحكمة في إلهام الأنبياء من رعي الغنم قبل النبوة أن يحصل لهم التمرّن برعيها على ما يكلفونه من القيام بأمر أمتهم، ولأن في مخالطتها ما يحصل لهم الحلم والشفقة. لأنهم إذا صبروا على رعيها وجمعها بعد تفرقها في المرعى ونقلها من مسرح إلى مسرح ودفع عدوها من سبع وغيره كالسارق، وعلموا اختلاف طباعها وشدة تفرقها مع ضعفها واحتياجها إلى المعاهدة ألفوا من ذلك الصبر على الأمة وعرفوا اختلاف طباعها وتفاوت عقولها فجبروا كسرها ورفقوا بضعيفها وأحسنوا التعاهد لها، فيكون تحملهم لمشقة ذلك أسهل مما لو كلفوا

القيام بذلك من أول وهلة لما يحصل لهم من التدريج على ذلك برعي الغنم، وخُصّت الغنم بذلك لكونها أضعف من غيرها، ولأن تفرقها أكثر من تفرق الإبل والبقر لإمكان ضبط الإبل والبقر بالربط دونها في العادة المألوفة، ومع أكثرية تفرقها فهي أسرع انقياداً من غيرها. وفي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم لذلك بعد أن علم كونه أكرم الخلق على الله ما كان عليه من عظيم التواضع لربه والتصريح بمنّته عليه وعلى إخوانه من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء" (فتح الباري ٤: ٥١٦-٥١٧).

السؤال الخامس

صادقٌ في كلامهِ وأمينٌ ولهذا أتتْ بهِ تَستْعَينُ

كَلفَتْهُ أمرَ التجارة تدري أنهُ للنجاح شهمٌ ضَمينُ

منْ تُراها؟ منْ أرسلتْ ليراهُ؟ وهيَ تدري بأنه لا يخونُ

ما العجيبُ الذي الرفيقُ رآهُ؟ ثُم ما الخطبُ بالذي سيكونُ؟

عمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم في شبابه وبعد فترةِ رعيٍ الغنم في تجارة الملابس (دراسات في السيرة للدكتور عماد الدين خليل ص٤١). ولصدقه وأمانته في عمله فقد أُشتُهِر بين الناس بالصادق الأمين، ولهذا فقد صار الناس يعهدون إليه بأعمالهم أو يأتمنونه على أموالهم.

س:

كَلفَتْهُ أمرَ التجارة تدري أنهُ للنجاح شهمٌ ضَمينُ

منْ تُراها؟

ج: هي خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

لما بلغ خديجةَ بنت خويلد، وقد كانت امرأة ذات شرف ومال، ما عُهد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من صِدق الحديث وعظيم الأمانة وكرم الأخلاق أرسلت إليه وعرضت عليه أن يخرج في مالها إلى الشام تاجراً وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار، وأنها سترسل معه غلاماً يقال له ميسرة ليخدمه. وقد قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العرض وخرج في مالها ذلك وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام (السيرة النبوية لابن هشام ١: ٢٤٢-٢٤٣).

س: مَنْ أرسلتْ ليراهُ؟

ج: أرسلت غلامها ميسرة.

س: ما العجيبُ الذي الرفيقُ رآهُ؟

ج: نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ظل شجرة كانت قريبة من صومعة أحد الرهبان، وسأل الراهب ميسرة عن الرجل النازل تحت الشجرة فقال له ميسرة: " هذا رجل من قريش من أهل الحرم، فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي" (نفسه ١: ٢٤٣).

وبعد أن انتهى من تجارته ببيع ما جاء به وشراء ما أراد شراءه لمكة عاد وسلّمّ البضاعة لخديجة التي باعتها فكان ربحُها ضعفاً أو قريبا من الضعف، ثم إن ميسرة حدّثها بما حدّثه به الراهب وبما رأى من تظليل ملكين له عليه الصلاة والسلام من الشمس إذا كانت الهاجرة واشتد الحر وهو على بعيره (نفسه).

س: ثُم ما الخطبُ بالذي سيكونُ؟

ج: زواجها منه صلى الله عليه وآله وسلم.
كان لكل ذلك أثره في نفسها فبعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبدت رغبتها فيه لقرابته وشرفه وسمو منزله وأمانته وحسن خلقه وصدق حديثه " وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسباً وأعظمهن شرفاً وأكثرهن مالاً، كل قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر عليه" (السيرة النبوية لابن هشام ١: ٢٤٣-٢٤٤، وينظر تاريخ الطبري ٢: ٢٠٨، دلائل النبوة ١: ٦٦، البداية والنهاية ٢: ٢٩٣ ، الكامل في التاريخ لابن الأثير١: ٥٧٠). وذكر هو الأمر لأعمامه وتزوجها بعد أن أصدقها عشرين بكرة، وكانت أول امرأة تزوجها عليه الصلاة والسلام ولم يتزوج عليها غيرها حتى توفيت رضي الله عنها (السيرة النبوية لابن هشام ١: ٢٤٤، دلائل النبوة ١: ٦٩، البداية والنهاية ٢: ٢٩٤).

السؤال السادس

ما سِنهُ حينَ وافَى الغارَ جبريلُ؟ وأيُّ آيٍ بدا للحق تنزيلُ؟

إذْ ضَمهُ ماتراهُ قالَ يأمرُهُ؟ وما الجوابُ لهُ مافيهِ تفصيلُ؟

ومنْ هوَ العالمُ النحريرُ أخبرهُ بأنهُ المصطفىَ للدين مرسولُ؟

وأنهُ ذاتَ يومٍ سوفَ تخرجهُ قريشُ والنصرُ عندَ اللهِ مأمولُ

س: ما سِنهُ حينَ وافَى الغارَ جبريلُ؟

ج: كان سنه عليه الصلاة والسلام أربعين عامًا.

س: وأيُّ آيٍ بدا للحق تنزيلُ؟

ج: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ* عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق ١-٥).

س:

إذْ ضَمهُ ماتراهُ قالَ يأمرُهُ؟ وما الجوابُ لهُ مافيهِ تفصيلُ؟

ج: غطّه جبريل عليه السلام وقال له: اقرأ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((فقلتُ: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطّني الثانية حتى بلغ مني الجهدُ ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلتُ: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطّني الثالثة حتى بلغ مني الجهدُ ثم أرسلني فقال: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ حتى بلغ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)) (صحيح البخاري حديث رقم ٦٩٨٢ وينظر حديث رقم ٤٩٥٣، صحيح مسلم حديث رقم ١٦٠).

س:

ومنْ هوَ العالمُ النحريرُ أخبرهُ بأنهُ المصطفىَ للدين مرسولُ؟

ج: العالم هو ورقة بن نوفل، وقال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: هذا هو الناموس الذي أُنزل على موسى. وتمنّى أن يكون حيًا عندما يخرجه قومه، وعاهده إن بقي حياً إلى ذلك اليوم أن ينصره نصرًا مؤزرًا (صحيح البخاري حديث رقم ٦٩٨٢).

كان عليه الصلاة والسلام في الأربعين من عمره الشريف حين نزل عليه الوحي أول مرة في "يوم الاثنين لاحدى وعشرين مضت من شهر رمضان ليلاً، ويوافق ١٠ أغسطس سنة ٦١٠ م" (الرحيق المختوم ٦٦). وقد أورد الإمام البخاري من

حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ما كان في بدء الأمر وفي غار حراء. إذ روى عنها أنها قالت: " أول ما بُدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، فكان يأتي غار حراء فيتحنَّث فيه، وهو التعبُّد، الليالي ذوات العدد، ويتزوّد لذلك ثم يرجع إلى خديجة فتزوّده لمثلها حتى فجِئَه الحقّ وهو في غار حراء فجاءه الملك فيه فقال: اقرأ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (فقلتُ: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطّني الثانية حتى بلغ مني الجهدُ ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلتُ: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطّني الثالثة حتى بلغ مني الجهدُ ثم أرسلني فقال: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ حتى بلغ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ فرجع بها ترجُف بوادره حتى دخل على خديجة فقال: (زمّلوني زمّلوني) فزمّلوه حتى ذهب عنه الرَّوعُ، فقال: (يا خديجة ما لي؟) وأخبرها الخبر وقال: (قد خشيتُ على نفسي)، فقالت له: كلا، أبشِرْ، فوالله لا يُخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرَّحِم وتصدُق الحديث وتحمِل الكَلَّ وتَقري الضيف وتُعين على نوائب الحق. ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قُصيّ وهو ابن عمِّ خديجة أخو أبيها، وكان امْرأً تنصّر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي فيكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمِيَ. فقالت له خديجة: أي ابْنَ عمِّ، اسمعْ من ابن أخيك، فقال ورقة: ابنَ أخي ماذا ترى؟ فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم ما رأى، فقال ورقة: هذا الناموس الذي أُنزِل على موسى، يا ليتني فيها جَذَعاً (أكون حياً) حين يُخرجك قومك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أوَمُخرِجيَّ هم؟) فقال ورقة: نعم، لم يأتِ رجلٌ قطُّ بمثل ما جئتَ به إلا عوديَ، وإن يُدركْني يومُك أنصُرْكَ نصراً مؤزّراً ثم لم ينشَبْ ورقة أن توفي" (صحيح البخاري حديث رقم ٦٩٨٢ وينظر حديث رقم ٤٩٥٣، صحيح مسلم حديث رقم ١٦٠).

وقد ذكر أبو الحسن الندوي أن ابتداء الوحي بـ " اقْرَأْ " هو السر وراء الحركة العلمية الواسعة التي ظهرت في تاريخ الإسلام (السيرة النبوية للندوي ١١٦، الرحيق المختوم ٦٣).

السؤال السابع

أي بيتٍ ضَم كل المسلمينْ حينَ كانوا في حدودِ الأربعينْ؟

وبمنْ عَزوا على قِلتِهِمْ بعدَ رَب البيتِ والهادي الأمينْ؟

بدأت سراً تباشيرُ الهدىَ مِثْلَ فجرٍ قَبْلَهُ ليلٌ حَزينْ

بينَ أهلٍ وصحابٍ بدأتْ وبدى نورٌ من الحق يَبينْ

س: أي بيتٍ ضَم كل المسلمينْ حينَ كانوا في حدودِ الأربعينْ؟

ج: دار الأرقم بن أبي الأرقم من بني مخزوم.

س: وبمنْ عَزوا على قِلتِهِمْ بعدَ رَب البيتِ والهادي الأمينْ؟

ج: أعز الله تعالى المسلمين بإسلام حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

استهلّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كما ورد في البيتين الأخيرين، دعوته سراً فبدأ بأفراد عائلته الذين آمنوا به جميعاً. وقد ذكر علماء السيرة أنهم زوجه

خديجة وابن عمه علي ومولاه زيد بن حارثة وجميع بناته عليه الصلاة والسلام (السيرة النبوية لابن هشام ١: ٣٠٩، ٣١٦، ٣١٨، تاريخ الطبري ٢: ٢٢٢-٢٢٣، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة لأبي شُهبة ١: ٢٨٤).

ومن خارج العائلة بدأ بصديقه أبي بكر الصديق الذي آمن به (السيرة النبوية لابن هشام ١: ٣٢٠) والذي دعا بدوره عثمان بن عفان والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله " فجاء بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين استجابوا له فأسلموا وصلّوا" (نفسه ١: ٣٢١). وبعد هؤلاء أسلم أبو عبيدة بن الجراح وأبو سَلَمة والأرقم بن أبي الأرقم وعثمان بن مظعون وأخواه قدامة وعبد الله ابنا مظعون بن حبيب وعبيدة بن الحارث بن المطلب وسعيد بن زيد وامرأته فاطمة بنت الخطاب وأسماء وعائشة ابنتا أبي بكر (نفسه ١: ٣٢٢-٣٢٣).

وعندما زاد عدد المسلمين وبلغ قرابة الأربعين صاروا يجتمعون في دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي عند الصفا (السلسلة الضعيفة للألباني حديث رقم ٦٥٣١). وكان اختيار هذا البيت أبْعد للشبهات إذ أن صاحبه كان من بني مخزوم التي كانت تنافس بني هاشم (السيرة النبوية لعلي الصلابي ١: ١٣٥).

وأعز الله سبحانه دينه بإسلام رجلين هما حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب الذي "كان رجلاً ذا شكيمة لا يرام ما وراء ظهره، امتنع به أصحاب رسول الله وبحمزة حتى غاظوا قريشاً" (صحيح السيرة النبوية للألباني ٩٨). وفي السيرة النبوية لابن هشام أنه " لما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عزّ وامتنع وأن حمزة سيمنعه، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه" (السيرة النبوية لابن هشام ١: ٣٦٨). وأورد الهيثمي في مجمع الزوائد (٩: ٢٧٠) حديثاً مرسلاً عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة ومما جاء فيه " فلما أسلم حمزة عزّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت لهم بعض أمرهم وهابت قريش وعلموا أن حمزة رضي الله عنه سيمنعه".

وروى البخاري عن عبد الله بن مسعود أنه قال " ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر" (صحيح البخاري حديث رقم ٣٦٨٤، ٣٨٦٣، وينظر منهاج السنة لابن تيمية ٦: ٥٨، حلية الأولياء ٨: ٢٢٩). وأورد الشوكاني هذا الحديث في درّ السحابة ٩٩ بلفظ " إنْ كان إسلام عمر لفتحاً وهجرته لنصراً وإمارته رحمة، والله ما استطعنا أن نصلي بالبيت حتى أسلم فلما أسلم قاتلهم حتى ودعونا فصلينا"، وقال الشوكاني عن إسناد رجاله إنهم ثقات. ورُوي عن ابن مسعود قوله " ولقد كنا وما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم عمر قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه" (صحيح السيرة النبوية للألباني ٩٩).

السؤال الثامن

واقفاً أعلى الصَّفا ماذا ينادي؟	أتُرَى حَذَّرَ عنْ قومٍ أعادي
وبما رَدُّوا وماذا فعلوا؟	ومن الباغي على أكرمِ هادي؟
جاوبتهُ سورةٌ مذكورةٌ	في كتابِ اللهِ تَبّاً للأيادي
أُشعلَ النورُ فمنْ يُطفِئهُ	وسَرتْ أنباؤهُ في كُلِّ وادي

س:

واقفاً أعلى الصَّفا ماذا ينادي؟ أتُرَى حَذَّرَ عنْ قومٍ أعادي

ج: ارتقى عليه الصلاة والسلام الصفا ونادى قومه وعندما اجتمعوا إليه قال لهم: أرأيتَكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تُغير عليكم أكنتم مصدِّقيَّ؟ قالوا: نعم، ما جرّبنا عليك إلا صدقاً. قال: فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذابٍ شديد (صحيح البخاري حديث رقم ٤٧٧٠).

س: **وبما رَدُّوا وماذا فعلوا؟**

ج: تلقى قومه الإنذار بالغرابة والاستنكار والرفض.

س: ومن الباغي على أكرمِ هادي؟

ج: أبولهب، عبد العزّى بن عبد المطلب، قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت سورة المسد: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (صحيح البخاري حديث رقم ٤٧٧٠).

بقيت الدعوة سرية ثلاث سنوات، ثم إنه عليه الصلاة والسلام أُمِرَ بالجهر بالدعوة، كما قال ابن هشام (السيرة النبوية ١: ٣٢٨)، بقوله تعالى﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾(الحجر ٩٤) وبقوله سبحانه ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ* وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ* فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (الشعراء ٢١٤-٢١٦).

وروى البخاري عن عبد الله بن عباس " لما نزلت: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي: يا بني فِهْر، يا بني عدِيٍّ، لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسلَ رسولاً لينظرَ ما هو، فجاء أبو لهبٍ وقريشٌ، فقال: أرأيتكم لو أخبرتُكم أن خيلاً بالوادي تريدُ أن تُغير عليكم أكنتم مصدِّقيَّ؟ قالوا: نعم، ما جرّبنا عليكَ إلا صدقاً. قال: فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذابٍ شديد. فقال أبو لهب: تبّاً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟! فنزلت: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ (صحيح البخاري حديث رقم ٤٧٧٠، وكرره باختلاف طفيف في الحديث رقم ٤٩٧١، وينظر صحيح مسلم حديث رقم ٢٠٨، صحيح الجامع للألباني ٧٩٠٢).

وانفجرت مكة بمشاعر الغضب واستنكرت الدعوة التي تضللهم وتسفه عبادتهم للأصنام ولكنهم وفي المرحلة الأولى آثروا أن يأتوا إلى أبي طالب فيطلبوا منه أن يكفّ ابنَ أخيه عما هو فيه من سبٍّ لآلهتهم وتسفيهٍ لأحلامهم وتضليلٍ لآبائهم وعقائدهم، وعرضوا عليه أن يكفّه هو أو أن يخلّي بينهم وبينه " فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً وردّهم رداً جميلاً فانصرفوا عنه ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه يُظهِر دينَ الله ويدعو إليه (الرحيق المختوم

٨٠-٨١). وانتشر أمره عليه الصلاة والسلام وتسامعَ به الناس في كل مكان (السيرة النبوية لابن هشام ١: ٣٥٤)، فآمن به مَن هداه الله وناصبه الآخرون العداء وحاربوا دعوته وآذوه وعذبوا أتباعه، ولكن النور كان قد بزَغ ولم تُجدِ محاولات الكافرين للحدّ منه أو حجبه فكان يزداد انتشاراً يوماً إثر يوم وأقبل عليه المهتدون من كل أرجاء الجزيرة العربية وشغَلت دعوته الناس وامتدّ النور بمرور الزمن حتى صار يعمّ من الأرض أجزاء واسعة وكبيرة.

السؤال التاسع

أخبروني كيفَ إسلامُ عُمَرْ؟	حينما الهديُ منَ اللَّهِ ظَهَرْ
أيُّ آيِ اللَّهِ كانتْ سَبَباً؟	ثُمَّ مَنْ كانَ علَى ذاكَ حَضَرْ؟
رحمةُ اللَّهِ وروحٌ طيِّبٌ	أيَّدَ الحقُّ بِهِ خيرَ البَشَرْ
يَفْرُقُ الشيطانُ مَنْ طَلْعَتِهِ	وبتَأييدٍ لهُ جاءتْ سُوَرْ

س: أخبروني كيفَ إسلامُ عُمَرْ؟

ج: "قال ابن إسحاق: وكان إسلام عمر – فيما بلغني- أن أخته فاطمة بنت الخطاب، وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وكانت قد أسلمت وأسلم بعلها سعيد بن زيد وهما مستخفيان بإسلامهما من عمر، وكان نعيم بن عبد الله النحام- رجل من قومه من بني عدي بن كعب- قد أسلم، وكان أيضاً مستخفياً بإسلامه فرَقاً من قومه، وكان خبّاب بن الأرت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن. فخرج عمر يوماً متوشحاً بسيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطاً من أصحابه قد ذُكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا، وهو قريب من أربعين من بين رجال ونساء، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق وعلي بن أبي طالب في

رجال من المسلمين رضي الله عنهم ممن كان أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة، فلقيه نعيم بن عبد الله فقال له: أين تريد يا عمر؟ فقال أريد محمداً هذا الصابئ الذي فرّق أمر قريش وسفّه أحلامها وعاب دينها وسبّ آلهتها فأقتله! فقال له نعيم: والله لقد غرتك نفسُك من نفسِك يا عمر، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً؟! أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟! قال: وأي أهل بيتي؟ قال: ختنك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو وأختك فاطمة بنت الخطاب فقد والله أسلما وتابعا محمداً على دينه، فعليك بهما. قال: فرجع عمر عامداً إلى أخته وختنه وعندهما خباب بن الأرت معه صحيفة فيها سورة طه يقرئها أياها. فلما سمعوا حس عمر تغيّبَ خباب في مخدعٍ لهم أو في بعض البيت، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها، وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليهما فلما دخل قال: ما هذه الهينمة التي سمعتُ؟ قالا له: ما سمعتَ شيئاً، قال: بلى والله لقد أُخبِرتُ أنكما تابعتما محمداً على دينه، وبطش بختنه سعيد بن زيد فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفّه عن زوجها فضربها فشجّها، فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه: نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك. فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع فارعوى وقال لأخته: أعطِني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرءون آنفاً أنظرْ ما هذا الذي جاء به محمد، وكان عمر كاتباً، فلما قال ذلك قالت له أخته: إنا نخشاك عليها، قال لا تخافي، وحلف لها بآلهته ليردنّها إذا قرأها إليها. فلما قال ذلك طمعت في إسلامه فقالت له: يا أخي إنك نجس على شركك، وإنه لا يمسها إلا الطاهر، فقام عمر فاغتسل فأعطته الصحيفة وفيها طه فقرأها فلما قرأ منها صدراً قال: ما أحسنَ هذا الكلامَ وأكرمَه!! فلما سمع ذلك خباب خرج إليه فقال له: يا عمر والله إني لأرجو أن يكون الله قد خصّك بدعوة نبيه، فإني سمعته أمس وهو يقول: اللهم أيّد الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب، فاللهَ اللهَ يا عمر. فقال له عند ذلك عمر: فدُلّني يا خباب على محمد حتى آتيه

فأسلم، فقال له خباب: هو في بيتٍ عند الصفا معه فيه نفر من أصحابه، فأخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فطرق عليهم الباب فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر من خلل الباب فرآه متوشحاً السيف، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فزِعٌ فقال يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحاً السيف، فقال حمزة بن عبد المطلب: فأذن له فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه له وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ائذن له فأذن له الرجل ونهض إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه بالحجرة فأخذ بحجزته أو بمجمع ردائه ثم جبذه جبذة شديدة وقال: ما جاء بك يا ابن الخطاب، فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله فيك قارعة، فقال عمر: يا رسول الله جئتك لأومن بالله وبرسوله وبما جاءك من عند الله، قال: فكبّر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تكبيرةً عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمر قد أسلم، فتفرّق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكانهم، وقد عزوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة، وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله صلى الله عليه وسلم وينتصفون بهما من عدوهم. فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين أسلم" (السيرة النبوية لابن هشام ١: ٤٣١-٤٣٥).

وهذا الحديث حسن وقد أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٢: ٢١٩ واورده ابن الجوزي في صفة الصفوة ١: ٢٦٩ وما بعدها.

س: أيُّ آيِ اللَّهِ كانتْ سَبَباً؟

ج: آيات من سورة طه:

﴿طه* مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى* إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى* تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَا* الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى* لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى* وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى*﴾

س: ثُمَّ مَنْ كانَ علَى ذاكَ حَضَرْ؟

ج: الذي حضر ما جرى هم الذين كانوا موجودين في البيت وهم أخته فاطمة بنت الخطاب وصهره سعيد بن زيد وخباب بن الأرت الذي كان هناك لتعليمهما القرآن، رضي الله عنهم أجمعين.

ويشير البيت ما قبل الأخير إلى أن الله تعالى نصر به المسلمين، وقد كان ابن الخطاب رحيماً بالمؤمنين شديداً على مَن عداهم، وفي خلافته صار عدله مضرب المثل. وفيما يتعلق بفرَق الشيطان منه فقد روى البخاري عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إيه يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجّاً إلا سلك فجّاً غير فجّك" (صحيح البخاري حديث رقم ٦٠٨٥، وينظر الحديث رقم ٣٦٨٣، ٣٢٩٤، صحيح مسلم حديث رقم ٢٣٩٦). وروى ابن القطان عن بريدة بن الحصيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر: " لأحسبُ الشيطانَ يفرق منك يا عمر" (بيان الوهم والإيهام لابن القطان ٥: ٢٥٢ وحكم بصحة الحديث).

وأما بشأن السور التي جاءت في تأييده فقد قال عمر نفسه رضي الله عنه فيما رواه أنس بن مالك: " وافقتُ ربي في ثلاث أووافقني ربي في ثلاث، قلتُ: يا رسول الله، لو اتخذتَ من مقام إبراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، وقلت: يا رسول الله، يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله آية الحجاب، وقال وبلغني معاتبة النبي صلى الله عليه

وسلم بعض نسائه فدخلت عليهن فقلتُ إن انتهيتنّ أو ليبدلنّ الله رسولَه خيراً منكن حتى أتيتُ إحدى نسائه فقالت يا عمر أما في رسول الله ما يعظ نساءه حتى تعظهنّ أنت! فأنزل الله عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن" (تفسير القرآن لابن كثير ١: ٢٤٤ مروياً عن أنس بن مالك، وقال ابن كثير عنه: فيه يحيى بن أيوب الغافقي فيه شيء. وأورده البخاري حديث رقم ٤٠٢). وأورد الامام مسلم الحديث في صحيحه مع شيء من الاختلاف، فقد روى عن عبد الله بن عمر أن عمر قال: " وافقتُ ربي في ثلاث: في مقام إبراهيم، وفي الحجاب وفي أسارى بدر" (صحيح مسلم حديث رقم ٢٣٩٩).

السؤال العاشر

هاجروا للّه صوبَ الحبَشَةْ خوفَ أفاكٍ وبطشٍ بَطَشَةْ

مَن هو الحاكمُ فيها والذي وهَبَ الأمنَ لهمْ بلْ فَرَشَهْ؟

أي آي اللّهِ لما تُليتْ ذرفَ الدمعَ وأروتْ عَطَشَهْ؟

عنده عاشوا بأمنٍ ورضا بعد خوفٍ وحياةٍ موحِشَهْ

س:

مَن هو الحاكمُ فيها والذي وهَبَ الأمنَ لهمْ بلْ فَرَشَهْ؟

ج: الحاكم هو النجاشي أصحمة بن أبجر، رحمه الله.

س: أي آي اللّهِ لما تُليتْ ذرفَ الدمعَ وأروتْ عَطَشَهْ؟

ج: روي عن أم سلمة أن جعفر بن أبي طالب قرأ على النجاشي " صدراً من (كهيعص)، قالت: فبكى والله النجاشي حتى اخضل لحيته وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم" (مجمع الزوائد ٦: ٢٧، صحيح دلائل النبوة للوادعي ٩٦). ولم تحدد أم سلمة الآيات التي قرأها جعفر.

اتبع المشركون أنماطاً مختلفة في محاربة المسلمين ومواجهة الدعوة الإسلامية كالتحقير والاستهزاء والاتهامات الباطلة والتعذيب البدني الذي كان شديد القسوة والوحشية والذي كان يتطلب قدراً هائلاً من الصبر لتحمّله. من ذلك ما ذكره خباب بن الأرت عما تعرض له. فقد كان يوضع على نار أوقدت من أجل تعذيبه وإن من جلاديه مَن كان يضع رجله على صدره لكي تخرق النار لحمه زيادة في الإيذاء والتعذيب، وليبرهن على ذلك فإنه كان يكشف عن ظهره المليء بآثار هذا التعذيب (الطبقات الكبرى لابن سعد ٣: ١١٧). وكذلك كان الحال مع آل ياسر الذين ذاقوا أنواعًا مهولة من العذاب حتى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول لهم: " صبرا يا آل ياسر صبراً يا آل ياسر فإن موعدكم الجنة" (حديث مرسل رواه ابن حجر العسقلاني بسنده عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب في الإصابة ٣: ٦٤٨، وخرّج الألباني الحديث بلفظ " صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة" وقال عنه حديث حسن صحيح (فقه السيرة للغزالي ١٠٧). وقد شُدّت سمية أم عمار من طرفيها إلى جملين وطعنها أبو جهل في قُبُلها، أو في قلبها في رواية، فكانت أول شهيدة في الإسلام (الطبقات الكبرى لابن سعد ٣: ٢٤٨، البداية والنهاية لابن كثير ٣: ٥٨-٥٩ الذي قال إن الطعن كان في قلبها، أسباب نزول القرآن للواحدي ٢٨٩). وكان أمية بن خلف يضع بلالاً على الأرض في حمارة القيظ ويضع على صدره صخرة كبيرة ليعود عن دينه ولكنه كان يكرر دائماً: أحد أحد (البداية والنهاية ٣: ٥٧-٥٨). وروى ابن كثير كيفية مساعي المشركين للإساءة إلى المسلمين والقضاء على مصالحهم الاقتصادية إن كانوا تجاراً وتدمير ممتلكاتهم (البداية والنهاية ٣: ٥٩). ولقد بلغ الاضطهاد درجة دفعت بعض المسلمين إلى الاستجابة لمطالب المشركين لكي يتخلصوا من العذاب

(نفسه)، وهذا كله علاوة على ما كان النبي نفسه عليه الصلاة والسلام وأصحابه الآخرون يلاقونه من الناس ومن أبناء قبائلهم من الأذى النفسي والبدني.

وبغية إيجاد منفذ من العذاب الذي كان يلقاه المسلمون على أيدي كفار قريش وأقربائهم الرافضين للدين الجديد فقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحدٌ وهي أرض صِدقٍ حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه" (السيرة النبوية لابن هشام ١: ٤٠٨، البداية والنهاية ٣: ٦٦، وأورد الألباني الحديث في السلسلة الصحيحة ٧: ٥٧٧ وقال عنه: معضل).

وسبب اختيار الحبشة واضح وهو أن ملكها أصحمة النجاشي كان عادلاً لا يُظلم عنده أحد.

وهاجرت المجموعة الأولى في رجب سنة خمس من البعثة وكان مكوناً من " اثني عشر رجلاً وأربع نسوة رئيسهم عثمان بن عفان ومعه السيدة رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم فيهما: إنهما أول بيت هاجر في سبيل الله بعد إبراهيم ولوط عليهما السلام" (الرحيق المختوم ٨١). وقد كان " جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين - سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم صغاراً وولدوا بها- ثلاثة وثمانين رجلاً إن كان عمار بن ياسر فيهم" (السيرة النبوية لابن هشام ١: ٤١٧).

وأمِن المسلمون في الحبشة على دينهم وعبدوا الله تعالى لا يُؤذَون ولا يَسمعون ما يكرهون، ولكن المشركين ائتمروا لكي يعيدوهم فأرسلوا رجلين قال ابن هشام: إنهما عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص (السيرة النبوية لابن هشام ١: ٤٢١)، وروى السيوطي في الخصائص الكبرى عن موسى بن عقبة أنهما عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بن المغيرة (الخصائص الكبرى ١: ١٤٩). وانطلق الرجلان محمّلين بالهدايا ومما يُستطرف من متاع مكة إلى النجاشي وبطارقته، وكان الاتفاق أن يدفعا إلى كل بطْريق هديته قبل أن يكلّما النجاشي ليكون

البطارقة بذلك عوناً لهما في إنجاح المهمة (السيرة النبوية لابن هشام ١: ٤٢١-٤٢٢).

وروى الهيثمي وغيره عن أم سلمة هند بنت أبي أمية زوجِ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما جرى فقالت: " لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار: النجاشي، أمِنّا على ديننا وعبدنا الله وحده لا نؤذَى ولا نسمع شيئاً نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين جلدين وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة، وكان أعجب ما يأتيه منها الأدم فجمعوا له أدماً كثيراً ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً إلا أهدوا له هدية وبعثوا بذلك مع عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي وعمرو بن العاص بن وائل السهمي وأمروهما أمرهم وقالوا لهما ادفعوا إلى كل بطْريق هديته قبل أن تكلموا النجاشي فيهم ثم قدِّموا للنجاشي هداياه ثم اسألوه أن يسلمهم إليكم قبل أن يكلمهم. قالت: فخرجا فقدما على النجاشي ثم قالا لكل بطريق منهم إنه قد ضوى إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثَنا إلى الملك فيهم أشرافُ قومهم ليردهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه أن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم فإن قومهم أعلى بهم عيباً وأعلمُ بما عابوا عليهم، فقالوا لهما: نعم. ثم قربوا هداياهم إلى النجاشي فقبِلها منهم ثم كلماه فقالوا له: أيها الملك قد صبا إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دينَ قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثَنا إليك فيهم أشرافُ قومهم من آبائهم وأبنائهم وعشائرهم لنردّهم إليهم فلَهُم أعلى بهم عيباً وأعلمُ بما عابوا عليهم وعايبوهم فيه. ولم يكن أبغضَ إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع النجاشي كلامهم، فقالت بطارقته حوله: صدقوا أيها الملك، قومهم أعلى بهم عيباً وأعلم بما عابوا عليهم فأسلمهم إليهم فليردوهم إلى بلادهم وقومهم. فغضب النجاشي وقال: لا هيم الله إذاً لا أسلمهم إليهما، ولا أكاد قوماً جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على مَن سواي حتى أدْعوهم فأسألهم عما يقول هذان في

أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما وأحتسب جوارهم ما جاوروني. قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا فقال بعضهم لبعض ما تقولون في الرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا صلى الله عليه وسلم كائنٌ في ذلك ما هو كائن. فلما جاءوه وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله سألهم، فقال: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الأمم؟ قالت: وكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب عليه السلام. قال: أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله عز وجل لنوحّده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دون الله من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وشهادة الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئا وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة. قالت: فعدد عليه أمر الإسلام، فصدّقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به، فعبدنا الله وحده لا نشرك به شيئا وحرّمنا ما حرّم علينا وأحللنا ما أحل لنا فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله عز وجل، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلدك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نُظلم عندك أيها الملك. قالت: فقال النجاشي هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قالت فقال له جعفر: نعم، قالت: فقال له النجاشي فاقرأه، فقرأ عليه صدراً من (كهيعص)، قالت: فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تُلِيَ عليهم. ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة. انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكم أبداً ولا

أكاد... فكنّا عنده في خير منزل حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة" (مجمع الزوائد ٦: ٢٧، وقال: رجاله رجال الصحيح غير إسحاق وقد صرّح بالسماع، وينظر السيرة النبوية لابن هشام ١: ٤٢١-٤٢٥، صحيح دلائل النبوة ٩٦ للوادعي وحكمه على الحديث أنه حسن).

وأورد ابن كثير الرواية عن جعفر وقال عنها إنها رواية عزيزة جداً وفيها أن عمرو بن العاص قال للنجاشي إن هؤلاء يقولون في عيسى " غير ما تقول، قال: إن لم يقولوا في عيسى مثل قولي لم أدعهم في أرضي ساعة من نهار، فأرسل إلينا فكانت الدعوة الثانية أشدَّ علينا من الأولى، قال: ما يقول صاحبكم في عيسى بن مريم؟ قلنا: يقول هو روح الله وكلمته ألقاها إلى عذراء بتول، قال: فأرسل فقال ادعوا لي فلان القس وفلان الراهب فأتاه ناسٌ منهم فقال: ما تقولون في عيسى بن مريم؟ فقالوا أنت أعلمُنا فما تقول؟ قال النجاشي وأخذ شيئاً من الأرض قال: ما عدا عيسى ما قال هؤلاء مثل هذا. ثم قال أيؤذيكم أحدٌ؟ قالوا: نعم، فنادى منادٍ مَن آذى أحداً منهم فأغرموه أربعة دراهم، ثم قال: أيكفيكم؟ قلنا: لا، فأضْعَفَها" (البداية والنهاية ٣: ٦٩). وبقي قسم من المسلمين في الحبشة وكان جعفر بن أبي طالب على رأسهم وعادوا إلى المدينة فيما بعد، " قال جعفر: فخرجنا حتى أتينا المدينة فتلقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتنقني ثم قال: ما أدري أنا بفتح خيبر أفرح أم بقدوم جعفر ووافق ذلك فتح خيبر" (نفسه، وينظر مجمع الزوائد ٦: ٣٣، تخريج مشكاة المصابيح ٤: ٣٣١).

السؤال الحادي عشر

أتى مِنَ الحَق إسراءٌ ومعراجُ   فما المطيّةُ لما حانَ إدلاجُ؟

ومن تُرى أَمّ خيرُ الخلْقِ وانتظموا   مِن خَلفهِ ولنورِ اللّه إسراجُ

وما الفريضةُ كانت في السماء وما   عدا ففي الأرض تشريعٌ ومنهاجُ؟

درَتْ قريشُ فما قالتْ وما فعلتْ؟   وقدْ بدا لهُمُ في الأمرِ إبهاجُ

س: فما المطيّةُ لما حانَ إدلاجُ؟

ج: المطية هي البُراق.

س: ومن تُرى أَمّ خيرُ الخلْقِ وانتظموا مِن خَلفهِ؟

ج: أمَّ رسولُ الله الأنبياءَ عليهم الصلاة والسلام فصلى بهم ركعتين في بيت المقدس.

س:

وما الفريضةُ كانت في السماء وما عدا ففي الأرض تشريعٌ ومنهاجُ؟

ج: الصلاة، لبيان أهميتها.

س: درَتْ قريشُ فما قالتْ وما فعلتْ؟

ج: أنكرت قريش وكذّبت ما أخبرهم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن رحلته التي قام بها ليلاً، وطلبت منه عليه السلام أن يصف لهم بيت المقدس، وقيل إن أبا بكر رضي الله عنه هو الذي طلب ذلك ليبين للكافرين صدقَ رسول الله عليه الصلاة والسلام، فجلّاه الله تعالى له فطفق يخبرهم وهو ينظر إليه.
اختلفت الأقوال في العام الذي حصل فيه الإسراء والمعراج ولكن الأشهر أنها حصلت في وقت متأخر من الفترة المكية (الرحيق المختوم ١٢٤). وكذلك اختلفوا فيما إذا كانت الرحلة بجسده أو رؤيا منامية، وأورد المختلفون حججهم ولكن الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام أسري بجسده يقظةً (شرح العقيدة الطحاوية ٢٢٤) وأنها لوكانت مناماً لما كذّب بها المشركون، وتمت الرحلة ليلاً (البداية والنهاية ٣: ١١٢، شرح صحيح مسلم ٢: ٣٩). وقام جبريل عليه السلام قبل البدء بها بشقّ صدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وغسله وملئه بالإيمان والحكمة (صحيح البخاري حديث رقم ٣٢٠٧)، وهي المرة الثانية التي شُق فيها صدره الشريف وكانت الأولى في طفولته في ديار بني سعد.

ولأن الرحلة كانت في اليقظة فقد كانت بجسده عليه الصلاة والسلام على دابة دون البغل وفوق الحمار أبيض هو البُراق، يضع خطوه عند أقصى طرفه (صحيح البخاري حديث رقم ٣٨٨٧). ولفت عماد الدين خليل النظر إلى أن اسم الدابة مشتق من البرق وهو الضوء، وأن هذا ورد في زمن لم يكن لأحدٍ فكرة عن الضوء وسرعته (دراسات في السيرة ١٢٢). وكانت الرحلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى كما ورد في القرآن الكريم، وقال آخرون كابن كثير في الموضع السابق، وبالاستناد إلى أحاديث تشير إلى الانطلاق إلى السماء (صحيح البخاري حديث رقم ٣٨٨٧،٤٢٠٧) ودلائل عقلية أن الرحلة كانت إلى السماء أولاً ومنها إلى المسجد الأقصى رجوعاً إلى البيت الحرام.

وحدّث النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه عن الرحلة فقال: " ثم دخلت بيت المقدس فجُمع لي الأنبياء عليهم السلام فقدمني جبريل حتى أممتهم ثم صعد بي إلى السماء الدنيا..." (تفسير القرآن لابن كثير ٥: ١٠ وقال إن في الحديث غرابة ونكارة جدا، وعنده أنه عرج به إلى السماء ثم مرّ ببيت المقدس وصلى بالأنبياء وعاد بعدها إلى مكة. وعلق الألباني في شرح العقيدة الطحاوية على " أنه أسري بجسده في اليقظة على الصحيح من المسجد الحرام إلى المسجد القصى فنزل هناك، صلى بالأنبياء إماماً وربط البراق بحلقة المسجد" قائلاً: "حديث الاسراء صحيح" (شرح العقيدة الطحاوية ٢٢٤).

وعُرج به عليه الصلاة والسلام إلى السماوات واجتازها واحدة إثر أخرى حتى وصل إلى حيث لا يصل ملك. وقد فرضت الصلاة هناك خمسين في اليوم والليلة ولم يزل يسأل ربه أن يخفف عن أمته حتى صارت خمساً ولها أجر خمسين (صحيح البخاري حديث رقم ٣٨٨٧، البداية والنهاية ٣: ١٠٩-١١٢). وكانت الصلاة قبل ذلك مفروضة مرتين في اليوم غدواً وعشياً، وفرْضُها في السماء مرة أخرى هو تأكيدٌ لأهميتها وإعلاءٌ لشأنها (المنهج التربوي للسيرة النبوية ١: ٤٥٩). فهي عمود الدين كما ورد في الحديث المرسل المروي عن بلال بن يحيى العبسي

(المقاصد الحسنة للسخاوي ٣١٧، كشف الخفاء للعجلوني ٢: ٤٠، تلخيص الحبير لابن حجر العسقلاني ١: ٢٨٠، وكلهم قالوا عن رجاله ثقات).

وأظهر النبي صلى الله عليه وآله وسلم جانباً من الرحلة لأهل مكة، فقد أخبرهم برحلته إلى بيت المقدس، وقد أنكر عليه الكفار ما قال وابتهجوا بأن بطلان هذا الزعم ظاهر وتكذيبه ميسور، ونقلوا الخبر إلى أبي بكر الذي قال: والله إن كان قاله لقد صدق (السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٦، السلسلة الصحيحة ٣٠٦). على حين أن الكافرين سألوا النبي عليه الصلاة والسلام مستنكرين كيف يمكن له ان يقوم برحلة كهذه في ليلة واحدة وهي تستغرق في حقيقتها زمناً طويلاً؟ ولكي يكشفوا زيف الادعاء بزعمهم فقد طلبوا منه أن يصف لهم بيت المقدس (البداية والنهاية ٣: ١١٣) فوصفها لهم وصفاً دقيقاً - مع أنه زارها في تلك الليلة فقط ولم يكن زارها من قبل قط - وقد جلاها الله تعالى له (صحيح البخاري حديث رقم ٣٨٨٦) لتأييده ولإفحام المشركين. وقد أقرّ المشركون أن وصفه كان صحيحاُ، وزاد هو عليه الصلاة والسلام على ذلك بأن أخبرهم عن قوافل مرّ بها وما حصل لها وما فعل بإناء مائهم وكم بقي لها لكي تصل إلى مكة. وقد انتظر المشركون للتأكد من هذا الزعم الجديد، وقد اندهشوا، عندما عاد رجال القوافل وسألوهم عن تلك الأنباء، من أن كل ما أخبر به عليه الصلاة والسلام كان كما قال تماماً (السيرة النبوية لابن هشام ٢: ١٢-١٣) ومع ذلك فإنهم لم يؤمنوا!

وروى ابن هشام حديثاً مرسلاً ورد فيه أن أبا بكر رضي الله عنه قال: " يا نبي الله، أحدّثتَ هؤلاء القوم أنك أتيت بيت المقدس هذه الليلة؟ قال: نعم، قال: يا نبي الله فصفه لي فإني قد جئته، قال الحسن: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرُفع لي حتى نظرتُ إليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفه لأبي بكر ويقول أبو بكر صدقتَ، أشهد أنك رسول الله، كلما وصف له منه شيئاً قال: صدقتَ، أشهد أنك رسول الله" (السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٧).

السؤال الثاني عشر

فرقوهُ الدمَ ما بينَ القبائلْ	وأعَدوا كُل سيفٍ منْ قبيلهْ
مَنْ تُرى قامَ بتدبيرِ المسائلْ	أنْ يكونَ القتلُ في ليلٍ وغيلْه؟
ومَنِ القادمُ منْ نجدٍ يحاولْ	نُصرةَ الشرْكِ بتدبيرٍ وحيلهْ؟
لمْ ينالوا منْ حصارِ البيتِ طائلْ	خرجَ الهادي وما عاقوا سبيلهْ

س:

مَنْ تُرى قامَ بتدبيرِ المسائلْ

أنْ يكونَ القتلُ في ليلٍ وغيلْه؟

ج: أبو جهل عمرو بن هشام.

س:

ومَنِ القادمُ منْ نجدٍ يحاولْ نُصرةَ الشرْكِ بتدبيرٍ وحيلهْ؟

ج: إبليس، لعنه الله، في هيئة شيخ من نجد.
بعد أن هيأ الله تعالى للمسلمين داراً آمنة هي طيبة "المدينة المنورة" ليهاجروا إليها أدرك المشركون أن ذلك سيكون قوةً للمسلمين. ولكي يضربوا ذلك الإنجاز في الصميم ويمنعوا إقامة الحياة الدينية الجديدة فقد قلبوا الأفكار للحيلولة دون التحاق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأصحابه ودون تحقيق ما ينجم عن هذه الخطوة من تهديدٍ لكيانهم هم. وللوصول إلى خطة لتنفيذ مآربهم فقد عقدوا اجتماعاً في دار الندوة، وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها (السيرة النبوية لابن هشام ٢: ١٠٠). وروى ابن إسحاق بسنده عن عبد الله بن عباس خبراً عن هذا الاجتماع فقال: " لما أجمعوا (أي قريش) لذلك واتعدوا أن يدخلوا في دار الندوة ليتشاوروا فيها في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم غدوا في اليوم الذي اتعدوا له، وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزحمة، فاعترضهم إبليس لعنه الله في هيئة شيخ جليل عليه بت (كساء غليظ من صوف أو وبر) له، فوقف على باب الدار، فلما رأوه واقفاً على بابها قالوا: مَن الشيخ؟ قال: شيخ من أهل نجد سمعَ بالذي اتعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون، وعسى أن لا يعدمكم منه رأياً ونصحاً، قالوا: أجل فادْخلْ، فدخل معهم لعنه الله" (السيرة النبوية لابن هشام ٢: ١٠٠-١٠١).
واقترح البعض حبس النبي عليه الصلاة والسلام في الحديد وإغلاق بابٍ عليه إلى أن يموت، واقترح آخر إخراجه من بين أظهرهم ونفيه من بلادهم، وقد رد إبليس لعنه الله هذه المقترحات وبيّن للمجتمعين أن لا جدوى منها وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستطيع أن يفلت منها بوسيلةٍ ما. فقال أبو جهل: " والله إن لي فيه لرأياً ما أراكم وقعتم عليه بعدُ، وقالوا: وما هو يا أبا الحكم؟ قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة شاباً فتىً جليداً (= قوياً شديداً) نسيباً وسيطاً فينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعاً

فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعًا فرضوا منا بالعقل (الدية) فعقلناه لهم، قال: يقول الشيخ النجدي: القول ما قال الرجل، هذا الرأي لا رأي غيره، فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له" (السيرة النبوية لابن هشام ٢: ١٠٢).

وأخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمكيدة وأمره أن لا يبيت تلك الليلة على فراشه الذي كان يبيت عليه، " فلما كان عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام فيثبون عليه، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم قال لعلي بن أبي طالب رحمة الله عليه: نم على فراشي وتسجّ (= تغطَّ) ببردي هذا الحضرمي الأخضر فنم فيه فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم" (نفسه ٢: ١٠٢-١٠٣). ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج وأخذ حفنة من تراب في يده، وأخذ الله تعالى على أبصار المشركين المجتمعين ببابه فلم يكونوا يرونه فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو من سورة يس قوله تعالى: ﴿ يس* وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ* إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ* عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ* تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ* لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ* لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ* إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ* وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (يس ١-٩). ثم انصرف إلى حيث أراد، وأتاهم آتٍ وعلم سبب اجتماعهم فقال لهم إن محمداً قد انطلق لحاجته وما ترك فيكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تراباً، فتحسسوا التراب ولكن الله أعمى بصائرهم فتطلعوا فرأوا علياً على الفراش متسجياً ببرد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فظنوه النبي عليه السلام فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا وتبينوا وقتئذ أن النائم إنما كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه (نفسه ٢: ١٠٣-١٠٤) وأنهم من ثَمّ فشلوا في حصار البيت وفي تنفيذ ما اجتمعوا من أجله.

وذكر مجدي فتحي السيد محقق السيرة النبوية لابن هشام أن الطبري وأبا نعيم والبيهقي وغيرهم نقلوا الخبر عن ابن إسحاق، ولكنه قال إن " إسناده

ضعيف.... وفي سنده جهالة شيخ ابن إسحاق" (هامش السيرة النبوية ٢: ١٠٠، وعن الجزء المتعلق بخروجه عليه السلام ليلاً قال المحقق: " إسناده ضعيف، فيه إرسال من ابن كعب، كلهم عن ابن إسحاق مرسلاً" نفسه ٢: ١٠٣).

السؤال الثالث عشر

في ظلامِ الغار إيمانٌ ونورْ وعلىَ البابِ العدىَ أهلُ الفجورْ

منْ معَ المبعوثِ في هجرتهِ؟ منْ دليلٍ ورفيقٍ لا يبورْ

ومن الطامعُ في جائزة؟ وضعوها كانَ قتلاً أمٍ عثورْ

ثُم ما الوعدُ الذي واعدهُ؟ بعدَ لأيٍ حينما الدهرُ يدورْ

س:

منْ معَ المبعوثِ في هجرتهِ؟ منْ دليلٍ ورفيقٍ لا يبورْ

ج: في الغار كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه معه عليه الصلاة والسلام، وفي طريق الهجرة كان معهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر والدليل الذي هو عبد الله بن أرقط أو أريقط، وكان مشركاً. والنور والإيمان في الشطر الأول كناية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر رضي الله عنه. وقد كنى الشاعر في السؤال الأول عن النبي عليه الصلاة والسلام بالنور، وأعاد الكناية عنه عليه الصلاة والسلام في هذا السؤال، وكنى بالإيمان عن أبي بكر رضي الله عنه واستلهم كنايته له بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان الناس لرجح إيمان أبي بكر على ذلك" (مجموع الفتاوى ١٨: ٣٧٨).

س: ومن الطامعُ في جائزة؟

ج: الطامعون في الجائزة كثيرون، ولكن الذي موّه على جلسائه وخرج طامعًا في نيلها ووردت قصته في كتب السير والتاريخ والحديث هو سراقة بن مالك بن جُعشم.

س: ثُم ما الوعدُ الذي واعدهُ؟

ج: قيل وعده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سواري كسرى، ولكن المؤكد أنه عليه الصلاة والسلام أمر أن يُكتب لسراقة كتاب أمْنٍ.
كان خروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بينما أعداؤه مجتمعون ببابه يريدون قتله، نصراً من الله سبحانه وإعجازاً لو كان المشركون يُعمِلون عقولهم، ولكنهم وبدلاً من أن يراجعوا أنفسهم تمادوا في طغيانهم فتتبعوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلهم يظفرون به. وشكلوا لهذا الغرض فِرَقاً راح كل منها في اتجاه وخصصوا مائة من الإبل لكلٍ من يأتي برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو رفيقه أبي بكر رضي الله عنه حيْن أو ميتيْن (صحيح البخاري حديث رقم ٣٩٠٦) لقد كانت الجائزة مائة من الإبل لكل واحدٍ منهما ومجموعها سيكون مائتين من الإبل، وقد كانت هذه جائزة ضخمة في ذلك الحين.
وكان النبي عليه الصلاة والسلام قد اتجه إلى دار أبي بكر بعد أن خرج من بيته حين كان الكافرون مجتمعين على بابه يريدون اغتياله. وقد صحب أبا بكر وخرجا باتجاه غار ثور التي تقع جنوباً على طريق اليمن بدلاً من الاتجاه شمالاً على طريق المدينة لكي يموه على المشركين خط سيره. لقد كان أبو بكر رضي الله عنه بصحبته ورفيق دربه، واستأجرا عبد الله بن أرقط، أو أريقط، (الليثي)،

وكان مشركًا، ليدلهما على الطريق عندما يبدآن رحلتهما (السيرة النبوية لابن هشام ٢: ١٠٦ ، الرحيق المختوم ١٥١).

وبلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم جبل ثور وهو جبل شامخ وعِر الطريق صعب المرتقى فحفيت قدماه الشريفتان، وقيل بل كان يمشي على أطراف قدميه كي يخفي أثره فحفيت قدماه. وقد حمله أبو بكر حين بلغ إلى الجبل وطفق يشتد به حتى انتهى به إلى غارٍ في قمة الجبل عُرف في التاريخ باسم غار ثور (الرحيق المختوم ١٤٨-١٤٩). ودخل أبو بكر الغار أولاً لكي يُصاب هو لا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن كان في الغار ما يُخشى منه، فكسح الغار ووجد في جانبه ثقباً فشق إزاره وسده به ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن ادخل.

لقد كان من شأن الجائزة المرصودة لمن يأتي بهما حيّيْن أو ميتيْن أن تحرك هِمم الطامعين فراحوا في كل اتجاه وانتشروا في الجبال والوديان والوهاد والهضاب (الرحيق المختوم ١٥٠). ووصل المطارِدون إلى باب الغار وقد روى الإمام مسلم بسنده عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: " نظرتُ إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن في الغار، فقلتُ: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرَنا تحت قدميه، فقال: يا أبا بكر ما ظنّك باثنين اللهُ ثالثهما" (صحيح مسلم حديث رقم ٢٣٨١، وينظر صحيح البخاري حديث رقم ٣٦٥٣، البحر الزخار للبزار ١: ٩٦).

وظل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبو بكر مختبئيْن في الغار ثلاثة أيام، حتى إذا هدأ الطلب ارتحلا، والتحق بهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر ليقوم على خدمتهما، وأخذ بهم الدليل عبد الله بن أرقط (أريقط) على طريق السواحل (الرحيق المختوم ١٥١).

وممن طمع في الجائزة وتتبع النبي عليه الصلاة والسلام سراقة بن مالك بن جعشم. وقد روى الإمام البغوي الواقعة عن عبد الرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن أخي سراقة بن مالك بن جُعشم فقال: " جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر، دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره.

فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال يا سراقة، إني قد رأيت آنفاً أسودة بالساحل أراها محمداً وأصحابه. قال سراقة: فعرفتُ أنهم هم، فقلتُ له: إنهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً، انطلقوا بأعيننا. ثم لبثتُ في المجلس ساعة ثم قمتُ فدخلتُ فأمرتُ جاريتي أن تخرج بفرسي وهي من وراء أكمة فتحبسها عليّ، وأخذتُ رمحي فخرجتُ به من ظهر البيت فخططتُ بزجّه الأرض وخفضت عاليه حتى أتيتُ فرسي فركبتها فدفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم، فعثرتْ بي فرسي فخررتُ عنها، فقمتُ فأهويتُ يدي إلى كنانتي فاستخرجتُ منها الأزلام فاستقسمتُ بها: أضرّهم أم لا! فخرج الذي أكره فركبتُ فرسي وعصيتُ الأزلام، تقرب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت، وأبو بكر يكثر الالتفات، ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين فخررتُ عنها، ثم زجرتها فنهضت، فلم تكد تُخرج يديها، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان فاستقسمت بالأزلام فخرج الذي أكره، فناديتهم بالأمان فوقفوا. فركبت فرسي حتى جئتهم، ووقع في نفسي حين لقيتُ ما لقيتُ من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلتُ له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية، وأخبرتُهم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضتُ عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآني ولم يسألاني إلا أن قال: أخفِ عنا. فسألته أن يكتب لي كتاب أمْنٍ فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أدم، ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم" (شرح السنة للبغوي ٧: ١٠٦، وينظر صحيح البخاري حديث رقم ٣٩٠٦).

وذكر ابن إسحاق أن سراقة بن مالك خرج بالكتاب بعد فتح مكة والفراغ من حنين والطائف فلقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالجِعرانة وشق طريقه حتى دنا منه ورفع يده بالكتاب وقال: " يا رسول الله هذا كتابك لي، أنا سراقة بن جعشم، قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يوم وفاء وبر، أدنه، قال: فدنوتُ منه فأسلمتُ" (السيرة النبوية لابن هشام ٢: ١١٢).

ومما شاع أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعد سراقة بسواري كسرى، ولربما ورد ذلك في الاستيعاب لابن عبد البر ٢: ٥٨١ وفي غيره، وربما روي أن الشافعي ذكر أن عمر بن الخطاب دعا سراقة بن مالك، بعد أن جاءته غنائم فتح العراق، وأعطاه سواري كسرى وقال البسهما ففعل فقال عمر: الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة. ولم يقع الاستيعاب في يدي لأتحقق فيه من الرواية وأوثّقها، وقد وجدت هذا الخبر في الموقع الآتي:

www.ahlalhadeeth.com/vb/showthread.php?t=7057

ولعل هذه الرواية من المراسيل.

السؤال الرابع عشر

ذاتُ النطاقينِ منْ كانتْ وما صَنَعَت؟ ماهابت الشركُ لا خافتْ ولا خضعتْ

منْ زوجها؟ منْ أبوها؟ فهي في نَسَبٍ مضاعفِ المجدِ منْ بيتِ العلا طلعتْ

تمضي إلىَ الغارِ تأتي بالطعامِ لمنْ كانا بهِ وقريشٌ عنهما مُنِعَتْ

معَ النطاقينِ في الجناتِ منزلها بذي البشارة مِنْ خيرِ الورىَ سَمِعتْ

س: ذاتُ النطاقينِ منْ كانتْ وما صَنَعَت؟

ج: ذات النطاقين هي أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، وكانت تأتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأباها بسُفرتيهما وهما في الغار، والسُفرة طعام يصنع للمسافر وما يحمل هذا الطعام فيه يسمى سُفرة أيضاً. وعندما حان الوقت لكي يرتحل النبي عليه الصلاة والسلام وأبو بكر رضي الله عنه أتتهما بالسفرة ورأت أنها لم تجعل لها ما تعلقها به فشقّتْ نطاقها وجعلته اثنين فعلقت السفرة بواحد وانتطقت بالآخر (السيرة النبوية لابن هشام ٢: ١٠٨). وأورد البيهقي في دلائل النبوة (٦: ٤٨٥، وورد الحديث في صحيح مسلم رقم ٢٥٤٥ مروياً عن أبي نوفل بن أبي عقرب) عن أسماء أنها قالت: " أنا والله ذات

النطاقين، أما أحدهما فكنتُ أرفع به طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعام أبي من الدّوابّ، وأما الآخر فنطاق المرأة التي لا تستغني عنه".
ولم تخش المشركين الذين جاءوا إلى دار أبي بكر ليعرفوا خبره، وكان أبو جهل، فرعون هذه الأمة، من بينهم. فخرجت إليهم أسماء وأخبرتهم أنها لا تدري أين أبوها فصفعها أبو جهل صفعة قوية أوقعتْ قرطها.

س: منْ زوجها؟ منْ أبوها؟

ج: زوجها هو الصحابي الجليل الزبير بن العوام، حواريّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابن عمته صفية.

س: من أبوها؟

ج: الصحابي الجليل أبو بكر الصديق رضي الله عنه واسمه عبد الله بن أبي قحافة.
أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما من السابقين إلى الإسلام، قال ابن إسحاق إنه حُدِّث عنها أنها قالت إن نفراً من المشركين أتى إلى دار أبي بكر ليسألوا عنه بعد أن خرج مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان من بين النفر أبو جهل، فخرجت أسماء إليهم وسألوها عن أبيها أين هو فقالت لا أدري فرفع أبو جهل لعنه الله يده، وكان فاحشاً خبيثاً، فلطم خدها لطمة فطرح منها قرطها (السيرة النبوية لابن هشام ٢: ١٠٩). وكانت تأتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأباها بسُفرتيهما وهما في الغار.
وعندما خرجت مهاجرة كانت حبلى بعبد الله بن الزبير فنُفست به بقباء ثم أخذت وليدها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليحنّكه ففعل ومسحه

وصلى عليه وسماه عبدَ الله (صحيح مسلم حديث رقم ٢١٤٦، وينظر صحيح البخاري حديث رقم ٣٩٠٩). وقد أنجبت للزبير بن العوام خمسة بنين هم عبد الله وعروة والمنذر وعاصم والمهاجر وثلاث بنات هن خديجة وأم الحسن وعائشة.

توفيت عام ٧٣ للهجرة وعمرها مائة عام، وكانت آخر المهاجرات وفاةً. وكانت هي وأبوها وزوجها وابنها وأختها من الصحابة، وقد شاركت في عدد من المعارك الإسلامية، وروت عشرات الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، واتفق البخاري ومسلم لها على ثلاثة عشر حديثاً وانفرد البخاري بخمسة أحاديث ومسلم بأربعة، رضي الله عنها. وهي من السابقين إلى الإسلام، وعن كونها مبشرة بالجنة ورد عن الزبير بن بكار أنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لها عندما شقّت نطاقها: "قد أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقين في الجنة"، فقيل لها ذات النطاقين. (ربما كان هذا حديثاً مرسلاً غير مسند وربما رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦: ٦٩، وربما نقله عنه ابن عبد البر في الاستيعاب وابن حجر في الإصابة).

السؤال الخامس عشر

عندَ منْ حل النبي الأكرمُ قبلَ أنْ يبني لهُ بيتاً بطيبةْ؟

وبمنْ سُموا بها منْ أسلموا؟ لمْ يحسوا أنها أرضٌ غريبةْ

وانتكاسُ الشركْ أمسى يعلمُ ويرى أن النهاياتِ قريبةْ

حربهُ بالسر لا يستسلمُ ويُماهي بأساليبَ مُريبةْ

س:

عندَ منْ حل النبي الأكرمُ قبلَ أنْ يبني لهُ بيتاً بطيبةْ؟

ج: نزل عليه الصلاة والسلام في دار أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، واسمه خالد بن زيد بن كليب، وحلّ عنده إلى أن اكتمل بناء المسجدِ وغرفِ زوجاته.

س: وبمنْ سُموا بها منْ أسلموا؟

ج: سُمّي مسلمو المدينة بالأنصار.

أقبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى نزل جانب دار أبي أيوب الأنصاري فقال عليه الصلاة والسلام: " أي بيوت أهلنا أقرب؟ فقال أبو أيوب: أنا يا نبي الله، هذه داري وهذا بابي، قال: فانطلق فهيّئ لنا مقيلاً" (صحيح البخاري حديث رقم ٣٩١١). وظل عليه الصلاة والسلام في دار أبي أيوب ما بين شهر وسبعة أشهر (البداية والنهاية ٣: ٢١٤).

وقد اشترى في أثناء مكوثه في دار أبي أيوب قطعة الأرض التي بركت فيها ناقته ليبني عليها المسجد وغرفاً لزوجاته وشارك صحابتَه في العمل في البناء (نفسه ٣: ٢١٥، ٢٢٠، صحيح البخاري حديث رقم ٣٩٣٢).

وأصبحت " طيبة " التي عُرفت بعدئذٍ بالمدينة المنورة موطناً للمسلمين من كل أجزاء جزيرة العرب وسمي سكانها الأصليون من المسلمين بالأنصار وأما المهاجرون فهم من هاجر إلى المدينة. وصارت الرابطة بين المهاجرين والأنصار رابطة إسلامية أخوية فشعروا أن تلك الأرض هي أرضهم جميعاً فأحبوها واستوطنوها وأسهموا في بناء الدولة الجديدة القائمة على العقيدة الإسلامية ونشر مبادئها والدفاع عنها، وكان تأسيس هذه الدولة إيذاناً بأن دولة الشرك والجاهلية شارفت على الأفول.

غير أن المشركين حاربوا الكيان الجديد، وأعانهم في حربهم المنافقون واليهود، وبذل هذا الثلاثي: المشركون والمنافقون واليهود كل ما كان في وسعهم من أجل القضاء على الدولة الفتية وعلى الدعوة الإسلامية ولكن محاولاتهم كلها آلت إلى الفشل والخسران وإن كانوا ينالون من المسلمين بين حين وحين. وقد كان المنافقون أخطر الأعداء، وحربهم هي التي كانت الحرب السرية لأنهم كانوا يتظاهرون بالإسلام وقد يلتبس على المسلمين أمرهم، ولأنهم كانوا يعملون على محاربة المسلمين باصطناع وسائل إسلامية كما حصل في بنائهم لمسجد الضرار الذي أمر الله تعالى نبيه ألاّ يصلي فيه، فأمر النبي عليه الصلاة والسلام بهدمه (زاد المعاد ٣: ٤٧٩) وغير ذلك.

السؤال السادس عشر

قدْ بنىَ المسجدَ يا نِعْمَ مُرادهْ	موضعُ العلمِ وعنوانُ السعادهْ
أرضهُ قبلَ البِنى منْ أهلها؟	اشتراها ولهُ في العدلِ عادهْ
وأذانُ الحق ماقِصتهُ؟	حين يدعو لصلاةٍ وعبادهْ
لمْ يزلْ مسجدهُ مقصدنا	منْ يَزُرْهُ يلقَ خيراً وزيادهْ

س: أرضهُ قبلَ البِنى منْ أهلها؟

ج: كانت الأرض لغلامين يتيمين اسمهما سُهيل وسهل وكانا في حِجر سعد بن زرارة (شرح السنة للبغوي ٧: ١٠٦).

إن أول ما قام به النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة بعد الهجرة إليها هو بناء المسجد في الموضع الذي بركت فيه ناقته، وقد اشترى أرضها من غلامين يتيمين ولم يقبل أن يأخذها هبةً دون مقابل. وكان في الأرض قبور للمشركين

ونخلٌ وشجرةُ غرقد، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقبور المشركين فنبشت وبالخرب فسوّيتْ وبالنخل والشجرة فقطعت ثم بنى مسجده (فتاوى نور على الدرب ١١: ٣٨٨)، وصفَّ الشجر المقطوع في قبلة المسجد التي كانت يومئذ إلى بيت المقدس، وجعلت عضادتاه من حجارة وأقيمت حيطانه من اللبن والطين وجُعل سقفه من جريد النخل وعمده من الجذوع وفرشت أرضه من الرمال والحصباء، وجعلت له ثلاثة أبواب. وكان طول المسجد مما يلي القبلة إلى آخره مائة ذراع والجانبان مثل ذلك أو دونه، وكان أساسه قريباً من ثلاثة أذرع (الرحيق المختوم ١٦٦). وإلى جانب المسجد بنى حجرات زوجاته وعندما اكتمل بناء الحجرات انتقل إليها من بيت أبي أيوب الأنصاري (نفسه).

ولم يكن المسجد مكاناً للعبادة فقط بل صار الموضع الذي يلتقي فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالوفود والجماعات التي كانت تأتي إليه في المدينة، فضلاً عن كونه مكاناً يناقش المسلمون فيه شؤونهم ويتلقون تعاليم دينهم ويتدارسون خططهم العسكرية وغيرها، إنه باختصار كان مقراً لقيادة الدولة الإسلامية الجديدة، وكان إنشاؤه أساساً لبناء حياة اجتماعية من نمط جديد تخضع جميع شؤونها للمناقشة والتقنين من منظور العقيدة الإسلامية (فقه السيرة النبوية للبوطي ١٤٣).

س: وأذانُ الحق ماقِصتهُ؟

ج: كان المسلمون، كما روى البخاري، "يجتمعون فيتحينون الصلاة، ليس ينادَى لها، فتكلموا يوماً في ذلك فقال بعضهم اتخِذوا ناقوساً مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم بل بوقاً مثل قرن اليهود. فقال عمر أوَلا تبعثون رجلاً ينادي بالصلاة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا بلال قم فنادِ بالصلاة " (صحيح البخاري حديث رقم ٥٩١). وفي صحيح ابن ماجة حديث حسن عن بدء

الأذان وهو: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد همّ بالبوق، وأمر بالناقوس فنُحتَ، فأُريَ عبد الله بن زيد في المنام، قال: رأيتُ رجلاً عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوساً، فقلتُ له: يا عبد الله تبيع الناقوس؟ قال: وما تصنع به؟ قلتُ: أنادي به إلى الصلاة، قال: أفلا أدلّك على خير من ذلك؟ قلتُ: وما هو؟ قال تقول: الله أكبر الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حيَّ على الصلاة، حيَّ على الصلاة، حيَّ على الفلاح، حيَّ على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله. قال فخرج عبد الله بن زيد حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما رأى، قال: يا رسول الله، رأيت رجلاً عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوساً فقصّ عليه الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن صاحبكم قد رأى رؤيا، فاخرج مع بلال إلى المسجد فألقها عليه، وليناد بلال فإنه أندى صوتاً منك. قال: فخرجتُ مع بلال إلى المسجد فجعلتُ ألقيها عليه وهو ينادي بها، فسمع عمر بن الخطاب بالصوت فخرج فقال: يا رسول الله، والله لقد رأيتُ مثل الذي رأى" (صحيح ابن ماجة للألباني ٥٨٦).

وأشار الشاعر في البيت الأخير إلى فضل المسجد النبوي:

ولهذا المسجد الشريف فضائل كثيرة منها أنه أحد المساجد التي تشد إليها الرحال، فقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: " لا تُشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى" (صحيح البخاري حديث رقم ١١٨٩، سنن أبي داود حديث رقم ٢٠٣٣، وينظر المحلى لابن حزم ٤: ٤٥، الترغيب والترهيب للمنذري ٢: ٢١٥ وحكمه عنده: صحَّ من غير ما طريق، مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٧: ٦١ وحكمه عليه: معروف).

ومنها فضل الصلاة فيه، فقد قال عليه الصلاة والسلام: " صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من صلاةٍ في مسجدي هذا بمائة صلاة (التمهيد لابن عبد البر ٦:٢٥ من حديث عبد الله بن الزبير، وحكمه على الحديث: ثابت لا مطعن فيه، زاد المعاد

لابن القيم ١: ٤٩، وغيرها كثير). وقال عليه الصلاة والسلام للحث على الصلاة في مسجده ولبيان ميزتها: " من صلى في مسجدي أربعين صلاة لا تفوته صلاة كُتبت له براءة من النار وبراءة من العذاب وبُرِئ من النفاق" (الترغيب والترهيب للمنذري ٢: ٢٠٤، وحكمه على الحديث أن رواته رواة الصحيح، وينظر مجمع الزوائد للهيثمي ٤: ١١، وأورد الألباني الحديث بلفظ ونجاة من العذاب في السلسلة الصحيحة ٤: ٦٣١ وقال عنه: منكر بهذا اللفظ).

ومن أقواله عليه الصلاة والسلام في الترغيب في مسجده الشريف قوله: " من جاء مسجدي هذا لم يأته إلا لخير يتعلّمه أو يعلّمه فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله، ومن جاء لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره" (صحيح ابن ماجة للألباني ١٨٧ وحكمه عليه: صحيح، هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح للألباني ٧٠٧ وحكمه عليه: صحيح على شرط مسلم، الكامل في الضعفاء لابن عدي ٣: ٧٩ وحكمه: حميد بن صخر لا يُتابع على بعضه).

ومن الفضائل الكبرى للمسجد النبوي الشريف اشتماله على روضة من رياض الجنة، فقد قال عليه الصلاة والسلام: " ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي" (صحيح البخاري أحاديث رقم ١١٩٦، ١٨٨٨، ٦٥٨٨، ٧٣٣٥، صحيح مسلم حديث رقم ١٣٩١، وغيرها).

ولكل هذه الفضائل والمكانة الخاصة للمسجد النبوي صار مقصدَ الناس لكي ينالوا بزيارتهم إياه وصلاتهم فيه تلك الخيرات التي بينها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

السؤال السابع عشر

في ذرى طيبةَ منْ رأسُ النفاقْ؟ عاشَ يدعو لضلالٍ وشقاقْ

ثُم لما ماتَ عَطفْاً إبنهُ سألَ الهادي صلاةً وارتفاقْ

نزلَ الآيُ بنهيٍ واضحٍ ولهُ في النارِ قيدٌ ووثاقْ

حاربوا الله فماذا وجدوا عندما الأرواحُ نادتْ بالفراقْ

س: في ذرى طيبةَ منْ رأسُ النفاقْ؟

ج: رأس النفاق هو عبد الله بن أبي بن سلول، وكان يكيد للمسلمين ويخذلهم ويوالي أعداءهم ويصدر عنه ما ينبئ عن العمل لإخراج المسلمين من المدينة،

ويشير قول الشاعر: في ذرى طيبة إلى أن ابن سلول كان من زعماء طيبة وسيداً من سادات الخزرج وقد كان على وشك أن يُتوّج ملكاً عليها لولا الإسلام وهجرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة (صحيح البخاري حديث رقم ٦٢٠٧).

ذكر المؤرخون أن ابن سلول كان يحنق على الإسلام والمسلمين حنقاً شديداً، لأن الأوس والخزرج كانوا قد اتفقوا على سيادته وكانوا ينظمون له الخرز لتتويجه إذ دخل فيهم الإسلام فصرفهم عنه، وكان يرى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي سلبه ملكه.

وكان قبل تظاهره بالإسلام فظاً مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويُسمعه ما لا يحب كقوله مثلاً عندما غشيته والجماعة التي كانت معه عجاجة دابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " لا تغبروا علينا"، وقد سلّم عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودعاهم إلى الإيمان وقرأ عليهم القرآن " فقال له عبد الله بن أبي بن سلول: أيها المرء، لا أحسن مما تقول إن كان حقاً، فلا تؤذنا به في مجالسنا، فمن جاءك فاقصص عليه" (صحيح البخاري حديث رقم ٦٢٠٧). وبعد أن دخل الإسلام ظاهريًا كان يفكر ويخطط لتشتيت المجتمع الإسلامي وتوهين المسلمين وإثارة الارتباك في صفوفهم. فقد انسحب بجماعته وكانوا ثلث الجيش تقريباً وهم في طريقهم إلى أحُد بحجة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يأخذ برأيه (تاريخ الطبري ٣: ٦٣-٦٤)، وكان من شأن انسحابه أن يخفض عدد المقاتلين المسلمين إلى سبعمائة مقاتل أو أربعمائة بحسب روايات أخرى (البداية والنهاية ٤: ١٣). وكان هدفه من الانسحاب إثارة البلبلة في صفوف المسلمين. وعندما وقع الشر قبل ذلك بين المسلمين وبين بني قينقاع وحوصر اليهود ونزلوا على حكم رسول الله في رقابهم وأموالهم ونسائهم وذريتهم فأمر بهم فكتفوا؛ حينئذ قام عبد الله بن أبي فألحّ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يعفوَ عنهم قائلاً : يا محمد أحسن إلى مواليَّ وكرر طلبه مع إعراض النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنه وكرر طلبه ثالثة ورابعة، وعامل

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا المنافق الذي لم يمض على إسلامه إذ ذاك إلا شهر تقريبًا بالمراعاة فوهبهم له (السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٤٥٧-٤٥٨، ونقله مؤرخون كالطبري وابن كثير عن ابن إسحاق واسناده معضل).

وكان يبثّ الخوف في نفوس المسلمين في معركة الأحزاب، وكانت له اتصالات مع يهود بني النضير حتى قال لهم ما حكاه الله تعالى في قوله: لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولئن قوتلتم لننصرنكم (الرحيق المختوم ٣٠٠) وكان عيناً ليهود خيبر في المدينة وأبلغهم بعزم النبي صلى الله عليه وآله وسلم على غزوهم. كما كان ممن تقوّل على السيدة عائشة في حادثة الإفك (صحيح البخاري حديث رقم ٤١٤١) وحتى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا..." (صحيح البخاري حديث رقم ٢٦٦١). وأورد الهيثمي عن ابن عباس حديثاً يفهم منه أن من خاض في حديث الإفك جُلد ثمانين جلدة بعد نزول آية براءتها، وهذا يعني أنه كان ممن جُلد، وقد تاب الخائضون في حديث الإفك باستثناء عبد الله بن أبي الذي لم يتب لا من هذا الحديث ولا من غيره وظل على نفاقه إلى أن وافته المنية (مجمع الزوائد ٧: ٧٧).

س:

ثُم لما ماتَ عَطفْاً ابنهُ سألَ الهادي صلاةً وارتفاقْ

ج: ابنه هو عبد الله بن عبد الله بن أبي، وكان مسلماً صادقاً يحب الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ويبرّ أباه ولا يرضى عما يفعل في محاربة المسلمين ويأمل أن يهديه الله وينزع من قلبه الشر. وعندما مات أبوه جاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال: أعطني قميصك أكفّنْه فيه، وصلِّ عليه واستغفر له. فأعطاه قميصه وقال إذا فرغتم فآذنوني فلما أراد أن يصلي جذبه عمر وقال: أليس قد نهى الله أن تصلي على المنافقين؟ فقال: أنا بين خيرتين استغفر لهم أو لا

تستغفر لهم، فصلى عليه فأنزل الله ولا تصلِّ على أحدٍ منهم مات أبدًا ولا تقمْ على قبره، فترك الصلاة عليهم (صحيح الترمذي للألباني حديث رقم ٣٠٩٨، حديث صحيح).

وروي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لما نزلت هذه الآية ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة ٨٠) " أسمعُ ربي قد رخّص لي فيهم، فوالله لأستغفرنّ لهم أكثر من سبعين مرة لعل الله أن يغفر لهم" فقال الله من شدة غضبه عليهم ﴿ سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ﴾ الآية (تفسير ابن كثير ٢: ٣٢٥).

" وقال الشعبي: لما ثقل عبد الله بن أبي انطلق ابنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن أبي قد احتضر فأحب أن تشهده وتصلي عليه، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ما اسمك؟ قال: الحباب بن عبد الله، قال: بل أنت عبد الله بن عبد الله إن الحباب اسم شيطان. فانطلق معه حتى شهده وألبسه قميصه وهو عرق وصلى عليه، فقيل له: أتصلي عليه؟ فقال: إن الله قال إنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً، ولأستغفرن لهم سبعين وسبعين وسبعين" (تفسير ابن كثير ٢: ٣٢٥).

س:

نزلَ الآيُ بنهيٍ واضحٍ ولهُ في النارِ قيدٌ ووثاقْ

ج: الآية التي نزلت وتضمنت النهي عن الصلاة على المنافقين وعن الاستغفار لهم هي قوله تعالى:﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (التوبة ٨٤).

وحكم هذه الآية عام في كل من عُرف نفاقه وإن كان سبب نزولها في عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين كما قال البخاري، حدثنا ... عن ابن عمر قال: لما توفي عبد الله بن أبي جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه

وسلم فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه فقام رسول الله ليصلي عليه فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما خيرني الله فقال: ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ وسأزيده على السبعين، قال إنه منافق. فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل آية ﴿ ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره ﴾. وكذا رواه مسلم" (تفسير ابن كثير ٢: ٣٢٦). "ثم رواه البخاري عن إبراهيم بن المنذر... وقال فصلى عليه وصلينا معه وأنزل الله ﴿ ولا تصل على أحدٍ منهم مات أبداً﴾ وهكذا رواه الإمام أحمد" (نفسه ٢: ٣٢٧).

وروى الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس قال: " سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: لما توفي عبد الله بن ابي دُعي رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه، فقام إليه فلما وقف عليه يريد الصلاة عليه تحولتُ حتى قمتُ في صدره فقلتُ يا رسول الله أعلى عدو الله عبدِ الله بن أبيّ القائل يوم كذا وكذا وكذا يعدد أيامه. قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبتسم حتى إذا أكثرتُ عليه قال: أخّر عني يا عمر، إني خُيّرتُ فاخترتُ، قد قيل لي اسْتَغْفِرْ لَهُمْ الآية. وقد نزلت الآية واضحة بعد ذلك بمنع الصلاة على المنافقين في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (التوبة ٨٤).

س:

حاربوا الله فماذا وجدوا **عندما الأرواحُ نادتْ بالفراقْ**

ج: لقد نزلت آيات كثيرة تتوعد الكافرين والمنافقين بعذاب غليظ ساعة الموت ويوم القيامة، ومن تلك الآيات التي أشار البيت الأخير إليها أي بالعذاب في ساعة الفراق قوله تعالى:

- ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (الأنعام ٩٣).

- ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ* وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ* وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ* وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ* إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ*﴾ (القيامة ٢٦-٣٠).

- ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (الأنفال ٥٠).

- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ* ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ* فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ* ﴾ (محمد ٢٥-٢٧).

- ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ* الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ* إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ* فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ* ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ* مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ* ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ* ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (غافر ٦٩-٧٦).

وغيرها.

السؤال الثامن عشر

ما الذي حلَّ لدى ذِكْرِ بُعاثْ؟ عندما الشَّيطانُ بالفتنةِ عاثْ

عنْ فريقين وحربٍ سلفتْ كُلُّ فردٍ ببني العَمِّ استغاثْ

بينَ أظْهُرِهم هادي الألى عندهُ للفتنةِ الكُبرى اجتثاثْ

عالج الأمرَ فماذا قولهُ؟ وطفى الشّرَّ فما رامَ انبعاثْ

س: ما الذي حلَّ لدى ذِكْرِ بُعاثْ؟

ج: بُعاث أو يوم بعاث هي آخر معركة من معارك الأوس والخزرج قبل إسلامهما ووقعت قبل الهجرة بخمسة أعوام، وتعد أشهر وأدمى معركة بين اليثربيين، وتسمى بهذا الاسم نسبةً إلى المكان الذي التقى فيه الفريقان. واستعرّ القتال وكانت الغلبة أولاً للخزرج ولاذ الأوس بالفرار ولكن سرعان ما انقلب الميزان وكر ألأوسيون وهزموا الخزرج هزيمة نكراء ووقعوا فيهم وحرقوا دورهم ونخلهم.

ثم إن الاسلام قد جمع بين القبيلتين ونزع من نفوس أبنائهما ما كان فيها من ضغائن الجاهلية وصاروا إخواناً متحابين ومتعاونين على نشر الدين وإعلاء

كلمته. ومرّ شاس بن قيس اليهودي، وكان عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين وشديد الحسد لهم، بجماعة من القبيلتين فغاظه ما رأى من جماعتهم وألفتهم وصلاح ذات بينهم بالإسلام، فأراد أن يستثير في نفوسهم الشحناء وأن يهيج في قلوبهم الحنق والضغينة والبغضاء التي كانت تسيطر عليهم أيام جاهليتهم؛ فأمر فتى شاباً من يهود كان معه أن يذهب إليهم ويذكّرهم بيوم بُعاث وما كان قبله وينشدهم ما قالوا فيه من الأشعار ففعل الفتى، وتكلم القوم فتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيّيْن على ركبهم وتقاولوا وقال بعضهم لبعض: إن شئتم رددناها جذعة، وغضب الفريقان وقالوا: قد فعلنا، السلاح السلاح موعدكم الحرة، فخرجوا إليها وتحاوز الناس على دعواهم التي كانت في الجاهلية (فتح القدير للشوكاني ١: ٥٤٨، تخريج الكشاف للزيلعي ١: ٢٠٨).

س: عالج الأمرَ فماذا قولهُ؟

ج: عندما علم رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم بأمر هذه الفتنة خرج إلى فريقي النزاع فيمن معه من أصحابه حتى جاءهم فقال: يا معشر المسلمين، الله الله، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ هداكم الله إلى الإسلام وأكرمكم به وقطع عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألّف بين قلوبكم ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً؟! فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سامعين مطيعين قد أطفأ الله عنهم كيد عدوهم وأنزل في ذلك قولَه الكريم:

﴿ قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيدٌ على ما تعملون* قل يا أهل الكتاب لمَ تصدّون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً وأنتم شهداء وما الله بغافلٍ عما تعملون* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ * وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آَيَاتُ اللَّهِ

وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ* وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آَيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * ﴾ (آل عمران ٩٨-١٠٣).

وقد رويت هذه القصة مختصرة ومطولة من طرق مختلفة (فتح القدير ١: ٥٤٨، تخريج الكشاف ١: ٢٠٨).

السؤال التاسع عشر

أبو سفيانَ والإبلُ الثقالُ وفي العيرِ الحقوقُ بدتْ تُنالُ

لمنْ قدْ هاجروا قسراً وخوفاً لهمْ في مَكَةٍ وطنٌ ومالُ

فما اسمُ الغزوةِ الكبرى ومنْ همْ رؤوسُ الكُفْرِ حَل بهمْ نكالُ؟

وفي أي الشهورِ وأي يومٍ وفي أي السنين هوَ القتالُ؟

تدور الأبيات على عير قريش الراجعة من الشام إلى مكة، وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد لتقصي أنبائها فوصلا إلى الحوراء ومكثا فيها حتى مرّ بهما أبو سفيان بالعير، فأسرعا إلى المدينة وأخبرا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالخبر. وقد كانت العير مؤلفة من ألف بعير موقرة بالأموال لا تقل عن خمسين ألف دينار ذهبي ولم يكن معها من الحرس غير أربعين رجلاً تقريباً. وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم للمسلمين: هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعلّ الله ينفلكموها. وكان الهدف من ذلك، كما ورد في البيتين الأولين، أن تصير العير تعويضاً للمسلمين عن أموالهم ومساكنهم التي استحوذ عليها المشركون في مكة. ولأن الغاية تحددت بوضع اليد على العير فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يعزم على أحد بالخروج بل ترك الأمر للرغبة المطلقة لأنه لم يكن يتوقع عند انتداب المسلمين أن الأمر

سيتحول إلى مواجهة عسكرية (عمدة التفاسير٢: ١٠٣، صحيح السيرة النبوية لإبراهيم العلي ١٥٩ وما بعدها). ولهذا فإن عدد الذين خرجوا معه كانوا ٣١٣ أو ٣١٤ أو ٣١٧ رجلاً وفرَسان أو ثلاثة، على اختلاف الروايات، وعدد من الجمال يتعاقب على الواحد منها الرجلان والثلاثة (صحيح السيرة النبوية لابراهيم العلي ١٦٠).

وعندما علم أبو سفيان أن المسلمين خارجون للإيقاع بالعير استأجر ضمضم بن عمرو الغفاري ليستصرخ قريشاً بالنفير إلى عيرهم ومنعه من محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه. وأثار الخبرُ قريشاً فتحفز الناس سراعاً للخروج وصاروا بين رجلين: إما خارج وإما باعث مكانه رجلاً، ولم يتخلف من أشرافهم أحد سوى أبي لهب الذي أرسل عنه رجلاً كان له عليه دين. وتحشدت بطون قريش ولم يتخلف عنهم إلا بنو عدي فلم يخرج منهم أحد، وانضم إليهم مَن حولهم من قبائل العرب. وكان قوام هذا الجيش نحو ألف وثلاثمائة مقاتل كما يقول المؤرخون وكان معهم مائة فرس وستمائة درع وجمال كثيرة لا يعرف عددها بالضبط، وكان الجيش بقيادة أبي جهل بن هشام، وكان يقوم بتموينه تسعة من أشراف قريش، فكانوا ينحرون يوماً تسعاً ويوماً عشراً من الإبل (صحيح السيرة النبوية لابراهيم العلي ١٦٦).

وأما أبو سفيان فقد غيّر خط سيره نحو الساحل غرباً تاركاً الطريق الرئيس الذي يمر ببدر على اليسار وبهذا نجا بالقافلة من الوقوع في أيدي المسلمين، وأرسل إلى الجيش المكي رسالة ينبئهم فيها بنجاة القافلة. وأراد الجيش الرجوع، ولكن أبا جهل قال: والله لا نرجع حتى نرد بدراً فنقيم بها ثلاثاً فننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتعزف لنا القيان وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبداً. ولكن الأخنس بن شريق رجع هو وبنو زهرة، وكان عددهم قرابة ثلاثمائة رجل، فمضى الجيش المكي في طريقه بألف رجل تقريباً حتى نزل قريباً من بدر، وراء كثيب يقع بالعدوة القصوى على حدود وادي بدر، وجرت المعركة ونصر الله فيها المسلمين نصراً كبيراً (هذه خلاصة لمجريات

الحدث الذي ذكره أصحاب السير القدامى والمعاصرون ووردت أجزاء منها في كتب الحديث، يُنظر مثلاً: جامع المسانيد والسنن ٥٨٥٦، عمدة التفسير ٢: ١٠١، فقه السيرة للغزالي ٢٣٢ وما بعدها).

س: فما اسمُ الغزوةِ الكبرىَ؟

ج: غزوة بدر الكبرى، وتذكر باسم يوم بدر أو يوم الفرقان كما سماه الله تعالى في سورة الأنفال آية ٤١. قال ابن كثير: " ينبه تعالى على نعمته وإحسانه إلى خلقه بما فرق به بين الحق والباطل ببدر، ويسمى الفرقان" (تفسير ابن كثير ٢: ٢٧٢، مجمع الزوائد ٧: ٣٠، الضعفاء الكبير ١: ٣٢٠).

س: ومنْ همْ رؤوسُ الكُفْرِ حَل بهمْ نكالُ؟

ج: المقتولون من المشركين سبعون ومثلهم من الأسرى، فيهم عدد كبير من القادة والزعماء، ومن رؤوسهم:

عتبة بن ربيعة، وأخوه شيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة، وهم أول ثلاثة قتلوا في المعركة، وأبو جهل بن هشام فرعون هذه الأمة، وأبو البخترى العاص بن هشام، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر ألا يُقتل إن شوهد في المعركة (مجمع الزوائد ٦: ٨٨)، ولكنه قُتل على الرغم من هذا وذلك أن المجذر بن زياد البلوي لقيه ومعه زميل له يقاتلان سوياً، فقال المجذر: يا أبا البخترى إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهانا عن قتلك، فقال: وزميلي؟ فقال المجذر: لا والله ما نحن بتاركي زميلك، فقال أبو البخترى: والله إذن لأموتن أنا وهو جميعاً ثم اقتتلا فاضطر المجذر إلى قتله. وأمية بن خلف وعلي بن أمية، والعاص بن هشام بن المغيرة وهو خال عمر بن الخطاب قتله عمر نفسه، وزمعة بن الأسود وعقيل بن الأسود والحارث بن زمعة ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وحنظلة بن أبي سفيان،

وطعيمة بن عدي وغيرهم (أورد ابن هشام هذه الأسماء في صفحات مختلفة من السيرة النبوية).

وممن أسر ثم قتل قبْل الفداء عقبة بن أبي معيط (مجمع الزوائد ٦: ٩٢، إرواء الغليل ٥: ٤٤، الصحيح المسند من أسباب النزول ٦١).

س:

وفي أي الشهورِ وأي يومٍ وفي أي السنين هوَ القتالُ؟

ج: كانت بدر لسبع عشرة مضت من رمضان (مجمع الزوائد ٧: ٣٠، إتحاف الخيرة المهرة ٣: ١٣٤، وذكر فيه " بلغني أنها ليلة ست عشرة أو سبع عشرة") في السنة الثانية من الهجرة (البداية والنهاية ٣: ٢٥٦).

السؤال العشرون

تنادوا إلى الثأرِ بعدَ الهزيمةْ مصيبتهمْ قدْ تجلت أليمةْ

فمنْ سيد الشهداء المُسَجى؟ ومنْ كانَ قاتلُهُ لا غريمةْ؟

ففي أحُدٍ خطأ للرماةِ وقدْ كانَ ضمنَ الدروسِ العظيمةْ

ومنْ بعدِ ذلكَ لمْ يُغلَبوا إلى يومِ فتحِ البلادِ الكريمةْ

تدور الأبيات على ما كان من شأن قريش بعد معركة بدر، فقد كانوا يتحرّقون غيظاً على المسلمين لما أصابهم في معركة بدر من الهزيمة وما خسروا فيها من الرجال؛ وكانت نفوسهم تجيش بنزعات الانتقام وأخذ الثأرحتى إنهم منعوا البكاء على قتلاهم في بدر ومنعوا من الاستعجال في فداء الأسرى لكي لا يصل إلى المسلمين خبرٌ عن مدى حزنهم على ما حلّ بهم (الرحيق المختوم ٢٢٤). وفي السيرة النبوية لابن هشام حديث مرسل نقله أصحاب التاريخ وبعض أهل الحديث تتضمن اتفاق قريش على أن تقوم بحرب شاملة تشفي غيظها وتطفئ نار حقدها بالثأر من المسلمين. وملخص هذا الحديث أن عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية مشوا في رجال من قريش ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم في بدر فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له تجارة في العير التي تسببت في معركة بدر أن يعينوا بتخصيص أموال تلك التجارة لحرب المسلمين والثأر منهم، فوافقوا. واجتمعت كلمة قريش على غزو المدينة وجمعت لذلك أموالها وقواتها وخرجت بحدها وحديدها وأحابيشها ومن تابعها من بني كنانة وأهل تهامة، واصطحبوا معهم النساء التماس الحفيظة وعدم

الفرار. وقد جمعوا لهذه الحرب ثلاثة آلاف مقاتل سبعمائة منهم مدرعون، ومائتي فرس (تاريخ الطبري ٣: ٦٣، البداية والنهاية ٤: ١٣ وورد فيها أن المشركين كان معهم مائة فرس). فأقبلوا حتى نزلوا بعينين بجبل ببطن السبخة من قناة على شفير الوادي مقابل المدينة (السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٦).

وكان من رأي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بناءً على رؤيا رآها، أن يقيم المسلمون بالمدينة ويدعوا الكفار حيث هم، وإذا دخلوا على المسلمين المدينة استفاد المسلمون من معرفتهم بطرقات المدينة وأسطحها في مقاتلة المشركين. ولكن رجالاً ممن فاتتهم المشاركة في بدر قالوا يا رسول الله اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنا جبنا عنهم وضعفنا، ولم يزالوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى دخل بيته ولبس لأمته وخرج في ألف من أصحابه. غير أن عبد الله بن أبي انسحب بثلث الجيش تقريباً حينما وصل إلى منتصف الطريق متذرعاً بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يأخذ برأيه الذي أبداه بشأن ذلك المسير (نفسه).

س: فمنْ سيد الشهداء المُسَجى؟

ج: سيد الشهداء هو أسد الله حمزة بن عبد المطلب عمّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأخوه في الرضاعة. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجلٌ قام إلى إمام فأمره ونهاه فقتله" (الترغيب والترهيب ٣: ٢٢٩).

س: ومنْ كانَ قاتلُهُ لا غريمة؟

ج: الذي قتل حمزة هو وحشي، وكان غلاماً حبشياً لجبير بن مطعم يقذف بحربة له قذف الحبشة قلّما يخطئ بها، فقال له جبير: " اخرج مع الناس فإن أنت

قتلت حمزة عم محمد بعمّي طعيمة بن عدي فأنت عتيق" فخرج وظل يتربص بحمزة لا يشغله غيره حتى رماه وقتله (السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٥).

الرماة وخطأهم:

وفي البيت الثالث إشارة إلى الخطة العسكرية التي وضعها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتأمين جيشه من الخلف، إذ أمر خمسين رجلاً من الرماة وأمّر عليهم عبد الله بن جبير، وهو معلّمٌ يومئذ بثياب بيض، بأن ينضحوا الخيل عن المسلمين بالنبل "لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك لا نؤتينّ من قِبَلك" (السيرة النبوية ٣:١١، البداية والنهاية ٤: ١٦ وقال ابن كثير له شاهد في الصحيحين).

وفي الخامس عشر من شوال سنة ثلاث للهجرة حصل التحام شديد بين الفريقين انجلى بغلبةٍ واضحة للمسلمين، فقد فرّ المشركون وشرع المسلمون بجمع الغنائم، وما إن رأى الرماة ذلك حتى ترك معظمهم مواقعه لأجل الغنائم مخالفين بذلك أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومرتكبين خطأً حربياً شنيعاً. ولاحظ خالد بن الوليد، وكان يومئذ قائد جيش المشركين، خلوَّ الجبل من الرماة فقام بعملية التفاف على المسلمين وباغتهم من خلفهم فآل أمر المسلمين إلى الاضطراب والارتباك وقُتل بعضهم خطأً بأيديهم هم (تاريخ الطبري ٣: ٦٥). وانقلب الميزان لصالح المشركين الذين سعوا للوصول إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتمكنوا من جرحه في شفته وجبهته وحنكه (نفسه ٣: ٦٨) ونادى منادي المشركين بأنهم قتلوه عليه الصلاة والسلام ولكنه كان محاطاً بعدد من رجال المسلمين ونسائهم، ربما بلغ مجموعهم اثني عشر فرداً. وخاب الكافرون في النيل منه ومع ذلك فقد شعروا أن ميزان هزيمتهم في بدر اعتدل وأنهم أصابوا شيئاً من ثأرهم من المسلمين (البداية والنهاية ٤: ٢٥، ٣٤).

ولم ينل المشركون من المسلمين بعد معركة أحد على الرغم من محاولاتهم المتكررة وتجييشهم الجيوش، بل كانت شوكة المسلمين في قوة وعددهم في ازدياد حتى نصرهم الله نصراً مؤزراً بفتح مكة.

الدرس المستنبط:

ويستخلص من خطأ الرماة درس عظيم وهو ضرورة العمل على تجنب الأخطاءِ ومخالفةِ القائد لضمان تحقيق النصر. فقد كان عدد المسلمين قليلاً قياساً بالكافرين وحققوا النصر في المعركة طالما كانوا ملتزمين بأوامر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولكنْ ما إن وقع البعض في مخالفته صلى الله عليه وآله وسلم ونسوا ما كُلفوا به حتى جرّ خطأُهم نتائج سلبية على المسلمين الآخرين.

وتمثلَ القادة المسلمون هذه العبرة من خلال اعتبار مخالفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذنباً، فنصحوا جنودهم وقواتهم بعدم ارتكاب الذنوب. لقد حذر أبو بكر رضي الله عنه جنوده الذاهبين إلى فتح الشام من الوقوع في الذنب ونبّههم أن ذلك سيتسبب في هزيمتهم، وكذلك فعل سعد بن أبي وقاص مع قواته الذين راحوا إلى المدائن، فقد ذكر لهم أنهم لن ينتصروا إلا إذا كانت أعمالهم الصالحة ترجح سيئاتهم (البداية والنهاية ٧: ٥). والدرس الآخر هو أن على المسلم الذي يرتكب الخطأ أن يسارع إلى الاستغفار والتوبة والأوبة إلى الله تعالى.

السؤال الحادي والعشرون

أي يومٍ يومُ حمراءَ الأسدْ؟	أقتالٌ فيهِ منْ بعدِ أحُدْ؟
ما جرى فيهِ ومنْ همْ جندُهُ؟	منْ أصابَ القَرْحُ هلْ فيهمْ جَلدْ؟
فيه عزمٌ أنهمْ ما انكسروا	رايةٌ مرفوعةٌ طولَ الأمَدْ
عبرٌ والغيبُ لا يعلمهُ	أحدٌ بينَ الورى غيرُ الأحَدْ

س: أي يومٍ يومُ حمراءَ الأسدْ؟

ج: كان يوم حمراء الأسد بعد أُحُد بيومٍ واحد. فقد قال ابن إسحاق، في خبر صحيح أخرجه عدد من أئمة الحديث، " كان يوم أُحُد يومَ السبت للنصف من شوال، فلما كان الغد من يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس بطلب العدو" (السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٦٥).

س: أقتالٌ فيهِ منْ بعدِ أحُدْ؟

ج: لم يحصل في هذا اليوم قتال، فقد مكث النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون ثلاثة أيام ثم رجعوا إلى المدينة.

س: ما جرى فيهِ؟

ج: يوم حمراء الأسد كان جزءاً من غزوة أحد التي أصيب فيها المسلمون، فقد بلغ النبي عليه الصلاة والسلام أن جيش المشركين يريدون العودة لاقتحام المدينة واستئصال المسلمين مستغلين ما أصابهم من جراح وإحباط. وعلاوة على ذلك فقد أراد عليه الصلاة والسلام أن يرسل إلى المتربصين بجنود الله رسالةً مفادها أن راية المسلمين ما تزال عالية وأنهم قادرون على المواجهة ومواصلة القتال والجهاد وأن لا شيء يعوقهم عن ذلك أو يكسر شوكتهم. ومن ثم فقد عزم على الخروج ومطاردة المشركين ليرعبهم ويريهم أن بالمسلمين قوة وجلدا، وهكذا كان. وسمي هذا اليوم يوم حمراء الأسد نسبةً إلى المكان الذي وصل إليه المسلمون وهي على بعد ثمانية أميال من المدينة، وأقام فيها المسلمون ثلاثة أيام ولم يجرؤ المشركون على ملاقاتهم.

وفي السيرة النبوية لابن هشام رواية إسنادها معضل مفادها أن معبد بن أبي معبد الخزاعي قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو يومئذ مشرك، " يا محمد، أما والله لقد عزّ علينا ما أصابك في أصحابك، ولوددنا أن الله عافاك فيهم، ثم خرج ورسول الله صلى الله عليه وسلم بحمراء الأسد حتى لقي أبا سفيان بن حرب ومَن معه بالروحاء وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وقالوا: أصبنا حد أصحابه وأشرافهم وقادتهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم، لنكرنّ على بقيتهم فلنفرغنّ منهم. فلما رأى أبو سفيان معبداً قال: ما وراءك يا معبد؟ قال: محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمعٍ لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقاً، قد اجتمع معه مَن كان تخلف عنه في يومكم وندموا على ما صنعوا، فيهم من الحَنَق عليكم شيء لم أر مثله قط. قال: ويلك ما تقول؟ قال: والله ما أرى أن ترتحل حتى ترى نواصي الخيل، قال: فوالله لقد أجمعنا الكرّة عليهم لنستأصل بقيتهم، قال: فإني أنهاك عن ذلك، ووالله لقد حملني ما رأيتُ على أن قلتُ فيهم أبياتاً من شعر، قال: وما قلتَ؟ قال: قلتُ:

كـادَتْ تُهـدُّ مـنَ الأصـوات رَاحلتي ... إذْ سَـــالَت الأرضُ بـالجُرْدِ الأبـابيلِ
تَـــرْدى بأسْـــدٍ كـــرام لا تَنَابلـة ... عنْد اللّقــاء ولا ميــل مَعَـازيلِ
فَظَلْـتُ عَـدْوا أظـنّ الأرض مائلـةً ... لَمَّـا سَـمَوا بـرئيس غـيرِ مَخْـذول
فقلـتُ: ويـل ابـن حَـرْب من لقائكُمُ ... إذا تَغَطْمَطَت البطـــحاء بالجيــلِ
إنـي نذيـر لأهـل البَسْـل ضَاحيَـةً ... لكــل ذي إرْبَــة منهــم ومعقــول
مـن جَـيْش أحـمدَ لا وَخْـشٍ تَنَابِلة ... وليس يُـوصف مـا أنـذرت بـالقيـل

" فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه (السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٦٨-٦٩) فانطلقوا إلى مكة مكتفين بما نالوا.

ومرّ بأبي سفيان ركبٌ من عبد القيس وعندما علم أن وجهتهم المدينة لطلب الميرة قال لهم: " فهل أنتم مبلغون عني محمداً رسالة أرسلكم بها إليه وأحمل لكم هذه غداً زبيباً بعكاظ إذا وافيتموها؟ قالوا: نعم، قال: فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا على السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم، فمرّ الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الأسد فأخبروه بالذي قال أبو سفيان فقال: حسبنا الله ونعم الوكيل" (السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٦٩).

س: ومنْ همْ جندُهُ؟

ج: جنده عليه الصلاة والسلام في يوم حمراء الأسد هم الذين شاركوا في معركة أحد فقط على أشهر الأقوال وانضم إليهم جابر بن عبد الله الذي قال: " يا رسول الله، إن أبي كان خلّفني على أخوات لي سبعٍ، قال: يا بُنيّ إنه لا ينبغي لي ولك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن، ولستُ أوثرك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسي، فتخلّفْ على أخواتك، فتخلفتُ عليهنّ، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه" (السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٦٥-٦٦). وذكر

البخاري، في حديثٍ سأورده في سياق الاجابة عمن أصابهم القرح، أن الذين خرجوا كانوا سبعين رجلاً.

س: منْ أصابَ القَرْحُ هلْ فيهمْ جَلدْ؟

ج: الذين أصابهم القرحُ هم المسلمون الذين شاركوا في القتال، وفي هذا السؤال التفاتٌ إلى قوله تعالى عن الواقعة:

﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ* الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ* فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ* إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران ١٧٢-١٧٥).

وقد استجابوا للنداء مع ما كان أصابهم طاعةً لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم. وأورد ابن إسحاق بسنده عن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان أن رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بني عبد الأشهل كان قد شهد أُحُداً مع أخٍ له ورجعا جريحين وعندما سمعا النداء بالخروج قال لأخيه أو قال أخوه له: " أتفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ والله ما لنا دابة نركبها وما منا إلا جريح ثقيل فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنتُ أيسر جراحاً منه (أي من أخيه) فكان إذا غلب حملته عقْبةً (وهي المرقى الصعب من الجبال) ومشى عقبة حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون" (السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٦٦). وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لعروة عن قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ﴾: " يا ابن أختي كان أبواك منهم: الزبير وأبو بكر لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا، قال: من يذهب في أثرهم؟ فانتدب منهم سبعون رجلاً، قال: كان

فيهم أبو بكر والزبير" (صحيح البخاري حديث رقم ٤٠٧٧) وقال ابن كثير تعليقاً على هذا الحديث: هكذا رواه البخاري منفرداً به بهذا السياق وهكذا رواه الحاكم في مستدركه عن الأصم عن العباس الدوري عن أبي النضر عن أبي سعيد المؤدب عن هشام بن عروة عن أبيه ثم قال صحيح ولم يخرجاه (تفسير ابن كثير ٨: ٢٥٨ وذكر طرقاً أخرى للرواية).

وأورد الطبري بسنده رواية ونقلها عنه ابن كثير جاء فيها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انتدب الناس لينطلقوا معه " فجاء الشيطان فخوّف أولياءه فقال: إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فأبى عليه الناس أن يتبعوه، فقال: إني ذاهبٌ وإن لم يتبعني أحد لأحضض الناس، فانتدب معه أبو بكر الصديق وعمر وعثمان وعلي والزبير وسعد وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وأبو عبيدة بن الجراح في سبعين رجلاً فساروا في طلب أبي سفيان فطلبوه حتى بلغوا الصفراء فأنزل الله تعالى ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (تفسير الطبري ٢٣: ٦٩٧، تفسير ابن كثير ٨: ٢٥٨). وذكر الطبري بسنده عن قتادة أن عصابة انطلقت تلبية لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين قال: " ألا عصابة تنتدب لأمر الله تطلب عدوها؟ فإنه أنكى للعدو وأبعد للسمع، فانطلق عصابة منهم على ما يعلم الله تعالى من الجهد" (تفسير الطبري ٢٣: ٦٩٧). ولعل المشاركين في معركة أُحد خرجوا كلهم وأن هذه العصابة، التي قد تكون السبعين رجلاً الذين ذكر البخاري عددهم في حديثه، هي التي كانت في الطليعة في تلك المطاردة.

العِبَر:

لقد كانت عملية المطاردة جريئة بالحسابات العسكرية، فقد كان الجيش الإسلامي جريحاً في بدنه ونفسه، وقد أطلع الله تعالى، من باب التأييد والنصر، رسوله صلى الله عليه وآله وسلم على الرعب الذي دبّ في قلوب المشركين، فصار الخروج علاجاً ربانياً لإزالة آثار الهزيمة في موقعة أُحد عن نفوس المسلمين.

يقول سعيد حوى في كتابه (الرسول صلَّى الله عليه وسلّم) : (لم يقع يومها حرب، ولكن هذه العملية الجريئة، غسلت آثار أُحد كلها وبشكل سريع؛ إذ كانت معركة أُحد يوم السبت وكان خروج الجيش هذا يوم الأحد، وبقي معسكراً في حمراء الأسد طيلة ثلاث ليال ونزل القرآن بعد ذلك فربَّى المسلمين ووعظهم وغسل كلّ الآثار النفسية للهزيمة). وفي هذا درس بليغ في معالجة الروح المعنوية للمقاتلين ولكي لا يستفحل انكسارهم في ساعةٍ ما وينعكس بالسلب على جهودهم فيما بعد، وكان من شأن ذلك أن يزول الشعور بالإحباط وتعود المنَعَة النفسية إلى ما كانت عليه. كما وفّرت هذه الحركة فرصة للمخالفين من الرماة أن يكفّروا عن خطئهم وأن يصبح شعورهم بالندم عامل قوة على ملاحقة عدوهم وعلى اقتلاع أسباب الهزيمة من نفوسهم.

وهذا يعني أن الحرب النفسية من الدروس المستنبطة من هذه الواقعة، وهذه الحرب ذات بُعدين: بُعدٌ يتعلق بالمقاتلين المسلمين ومعالجة ما في نُفوسهم من أسباب الضعف وبُعد خاص بمقاتلي العدو ببثّ الرعب في نفوسهم وإظهار القوة لهم بغض النظر عن الحال البدنية التي يمرّ بها المقاتل المسلم. فالمسلم مدافع عن الحق وما يصيبه ابتلاء وامتحان يُمحَّص به من جهة ويُربَى به على التمسك بالحق والدفاع عنه من جهة أخرى.

وفوق كل هذا فقد نجم عن الاستجابة لله وللرسول عليه الصلاة والسلام ما ألمح إليه البيت الأخير من قوله تعالى﴿ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾. إنهم سرعان ما جنوا ثمرة الطاعة فذاقوا طعم النصر بعد الهزيمة دون أن يخوضوا قتالاً وحازوا على رضوان الله تعالى ذلك الرضوان الذي كان بلسماً لجراحاتهم البدنية والنفسية فازدادوا قوة وثباتاً إلى أن أكرمهم الله تعالى بفتح مكة والانتشار الواسع للإسلام.

السؤال الثاني والعشرون

قريشٌ لا يلذُّ لها منامُ بها غَضَبٌ يُشَبُّ لهُ ضرامُ

أرادتْ أنْ تدمِّر كُلَّ شيءٍ وعدتها الأسِنةُ والسهامُ

وقدْ جمعتْ مِنَ الأحزاب جيشاً لتدمير المدينة قدْ أقاموا

أشارَ علىَ نبيّ برأي خيرٍ بحفر الخندق الرجلُ الهمامُ

فمنْ هوَ صاحبُ التدبير هذا؟ وكيفَ تفرَّق الجيشُ اللُّهامُ؟

تدور هذه الأبيات حول غزوة الخندق والتي تُعرف أيضاً بغزوة الأحزاب. وذكر ابن هشام أن الغزوة وقعت في شهر شوال من سنة خمس للهجرة (السيرة النبوية لابن هشام ٣: ١٩٧، تاريخ الطبري ٣: ٩٦، البداية والنهاية ٤: ٩٣)، وأما لدى الإمام البخاري فقد كانت الغزوة في شوال من السنة الرابعة هجرية (صحيح البخاري حديث رقم ٤٠٩٧).

وقد تضافر على هذه الغزوة غضبُ قريش ورغبتُها في القضاء على المسلمين مع بُغض اليهود ورغبتها في الإنتقام خاصة بعدما حلّ بهم في غزوة بني النضير. بل إن رواية ابن إسحاق، إسنادها مرسل وتابعه فيها المؤرخون، تشير إلى أن زعماء من يهود بني النضير الذين تم إجلاؤهم بسبب نقضهم للعهود المبرمة بينهم وبين المسلمين ونفراً من قبيلة وائل هم الذين ألّبوا القبائل واستنفروهم للقيام بحملة تفضي إلى إبادة المسلمين وتقضي على دولتهم قضاء مبرماً. وقد جاء في هذه الرواية " أن نفراً من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق النضري وحُيي بن

أخطب النضري وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النضري وهوذة بن قيس الوائلي وأبو عمار الوائلي في نفر من بني النضير ونفر من بني وائل – وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم- خرجوا حتى قدِموا على قريش مكة فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله" (السيرة النبوية لابن هشام ٣: ١٩٧، تاريخ الطبري ٣: ٩٦، البداية والنهاية ٤: ٩٤).

ولم يتورع اليهود في تفضيل الوثنية على التوحيد عندما قالت لهم قريش: " يا معشر يهود، إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خيرٌ أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه" (المصادر السابقة). وقد سَرَّ هذا القولُ قريشاً فنشطوا لما دُعُوا إليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ثم خرج أولئك النفر واتجهوا صوب غطفان من قيس عيلان وحثوهم على المشاركة في هذا التجمع وأخبروهم بأن قريشاً ستفعل، فاجتمعت قبائل غطفان معهم على ما عزموا عليه (السيرة النبوية لابن هشام ٣: ١٩٨، تاريخ الطبري ٣: ٩٦-٩٧).

وتم حشد جيش جرار من مختلف الجهات لهذه الغاية، فقد خرجت من الجنوب قريش وكنانة وحلفاؤهم من أهل تهامة بقيادة أبي سفيان بن حرب، ووافاهم بنو سليم بمَرّ الظهران، وخرجت من الشرق قبائل غطفان: بنو فزارة ويقودهم عيينة بن حصن بن حذيفة وبنو مرة ويقودهم الحارث بن عوف وبنو أشجع ويقودهم مسعر بن رخيلة (السيرة النبوية لابن هشام ٣: ١٩٨، الرحيق المختوم ٢٧٥).

وعندما وصلت أنباء هذا الحشد البالغ قوامه عشرة آلاف رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جمع أصحابه وشاورهم فيما ينبغي عمله، وكان مما تم اقتراحه أن يحفر خندق حول المدينة من جهاتها المفتوحة التي يمكن للعدو أن يدخل المدينة منها.

س:

فمنْ هوَ صاحبُ التدبير هذا؟ وكيفَ تفرَّق الجيشُ اللُّهامُ؟

ج: صاحب الفكرة بحفر الخندق هو سلمان الفارسي رضي الله عنه، وتفرقت الأحزاب بسبب تفرق صفوف المهاجمين وانهيار تحالفهم مع يهود بني قريظة علاوة على أن الله تعالى سلّط عليهم ريحاً باردة شديدة البرودة وأرسل عليهم جنوداً لم يرها المسلمون كما جاء في الآية ٩ من سورة الأحزاب.

لقد سرّ المقترحُ بحفر الخندق رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم وسرّ أصحابه (تاريخ الطبري ٣: ٩٧، السيرة النبوية الصحيحة للعمري ٢: ٤٢٠) فقد كانت فكرة حكيمة لم يكن للعرب عهدٌ بها من قبل. وسرعان ما تمّ تحديد حدود الخندق ووزع العمل فوُكِّل إلى كل عشرة رجال حفر أربعين ذراعاً من الخندق (الرحيق المختوم ٢٧٧).

شرع المسلمون في العمل بهمة ونشاط ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحثهم ويسهم معهم واستطاعوا أن ينجزوه في ستة أيام على الرغم مما كانوا يقاسونه من شدة الجوع حتى إنهم كانوا يشدون الحجارة على بطونهم والنبي عليه الصلاة والسلام كان يشد حجرين (تخريج مشكاة المصابيح ٥١٨٢، كشف المناهج المعروف بتخريج أحاديث المصابيح ٤: ٣٩٩). وقد رافقت عملية الحفر معجزات وآيات أفاضت كتب السيرة والتاريخ في إيرادها.

وعندما اكتمل حفر الخندق خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ثلاثة آلاف من المسلمين فجعلوا ظهورهم إلى جبل سلع فتحصنوا به والخندق بينهم وبين الكفار (السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٢٠٣، وإسناد الرواية مرسل).

وبلغ الكافرون الموضع ففوجئوا بما رأوا وهالهم أمره وحاروا كيف يمكنهم اجتياز هذا العائق الذي لم يحسبوا حسابه، ولم يكن أمامهم خيار إلا أن يحاصروا المسلمين ويبحثوا في الوقت عينه عن مواضع ينفذون منها لمجالدة المسلمين. وقد نجح بعض فرسانهم في ذلك مثل عمرو بن عبد ود وعكرمة بن أبي

جهل وضرار بن الخطاب الذين اخترقوا من ناحية ضيقة من الخندق، وخرج لهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه في نفر من المسلمين حتى اخذوا عليهم الثغرة التي أقحموا منه خيلهم، ودعا عمرو إلى المبارزة فانتدب له علي رضى الله عنه وتجاولا وتصاولا حتى قتله علي رضوان الله عليه وانهزم الباقون وبلغ بهم الرعب أن عكرمة ترك رمحه وهو منهزم (الرحيق المختوم ٢٨٠). وبذل المشركون محاولات أخرى ولكن الرماة المسلمين كانوا لهم بالمرصاد وأفشلوا كل محاولاتهم، على أنها مع فشلها كانت تمثل ضغطاً نفسياً على المسلمين ونتج عنها استشهاد بعض المسلمين وقتل بعض الكافرين.

بيد أن أخطر ما وقع هو نقض بني قريظة لعهدهم مع المسلمين استجابةً لسعي حيي بن أخطب النضري في هذا الشأن (السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٢٠٤). ووصل الخبر إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي قال بعد أن تحقق من صحته: "الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين، وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم. ونجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط... وحتى قال أوس بن قيظي... يا رسول الله إن بيوتنا عورة من العدو... فأذن لنا أن نخرج فنرجع إلى دارنا" (نفسه ٣: ٢٠٦). ومن شدة البلاء أراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يعطي غطفان ثلث ثمار المدينة مقابل انسحابهم ولكنه تخلى عن الفكرة بعد استشارة سعد بن معاذ وسعد بن عبادة من الأنصار (نفسه ٣: ٢٠٧).

وأورد ابن إسحاق رواية مرسلة الإسناد عن أن نعيم بن مسعود بن عامر، وهو من غطفان، أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مسلماً من غير أن يعرف قومه بإسلامه فاستأمر النبي عليه الصلاة والسلام فيما يفعل، فقال له: " إنما أنت فينا رجل واحد، خذّل عنا ما استطعت، فإن الحرب خدعة" (السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٢١٦، وأورد الألباني القصة في فقه السيرة ٣٠٥ وقال: هذه القصة

بدون إسناد لكن قوله صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة صحيح متواتر عنه صلى الله عليه وسلم رواه الشيخان). فخرج نعيم حتى أتى بني قريظة وذكّرهم بالود الرابط بينه وبينهم ثم أخافهم بأن قريشاً وغطفان يمكن أن ينسحبا لأي سبب وحينئذ فإن بني قريظة الماكثة في مكانها وفي أرضها ستواجه المسلمين منفردةً بما لا طاقة لها به. ولهذا فقد اقترح نعيم عليهم أن لا يقاتلوا المسلمين مع القوم حتى يأخذوا من قريش وغطفان رهناً من أشرافهم يكونون ثقة لهم على أن يقاتلوا حتى يقضوا على المسلمين. ولقد استصوب اليهود النصيحة واستحسنوها وقالوا له: لقد أشرت بالرأي! ثم إنه خرج وأتى قريشاً فقال لأبي سفيان ومن معه " إنه قد بلغني أمر...فاكتموا عني، قالوا: نفعل، قال: تعلمون أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا إليه: إنا قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم، فأرسل إليهم: أن نعم، فإن بعثْتْ إليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم لا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً" ثم أتى غطفان وقال لهم مثل ما قال لقريش (السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٢١٦-٢١٧).

وفي ليلة سبتٍ أرسل أبو سفيان عكرمةَ بنَ أبي جهل في رجال من قريش وغطفان لحث اليهود على البدء بالقتال، فلم يستجيبوا متذرعين بأن اليوم هو السبت حيث لا يعملون فيه شيئاً، وأردفوا قائلين: " ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثقةً لنا حتى نناجز محمداً، فإننا نخشى إن ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تنشمروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل في بلدنا ولا طاقة لنا بذلك منه" (نفسه ٣: ٢١٨)، وعندما بلغ الموقف زعماء قريش وغطفان صدّقوا ما أخبرهم به نعيم من قبل فرفضوا شرط اليهود، وكان ذلك مبدأ تشتيت كلمتهم، وخذل الله بينهم وبعث عليهم في هذا الوقت العصيب الريح في ليال شاتية باردة شديدة البرد فجعلت

تكفأ قدورهم وتطرح خيمهم حتى صار مقامهم عبئًا لا يقدرون أن يطيقوه، ولم يجد أبو سفيان إلا أن يخطب في الناس ويبين لهم الحال وينصحهم بالرحيل ثم نهض وارتحل وتبعه جنوده من القبائل المتجحفلة (نفسه ٣: ٢١٨-٢٢٠) ورد الله كيدهم من غير أن يقع قتال، وكان من شأن هذه الغزوة أن قويت مكانة المسلمين ومنَعتُهم حتى إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه الذي رواه الهيثمي وقال عن رجاله: ثقات، " لا يغزوكم بعدها أبداً ولكن تغزوهم" (مجمع الزوائد ٦: ١٤٢) وذكره ابن حجر العسقلاني في فتح الباري، وقال إسناده حسن، بلفظ : " لا يغزونكم بعد هذا أبداً ولكن أنتم تغزونهم" (فتح الباري ٧: ٤٧٠).

السؤال الثالث والعشرون

ما اسمها أمٌ لأم المؤمنينْ؟	وَفَدتْ يوماً على شركٍ تزورْ
ساقها حب وشوقٌ وحنينْ	صوبَ منْ رَبتْ وللأم شعورْ
بَينوا ما قالَ خيرُ المرسلينْ؟	منْ هوَ الرحمةُ في كل الأمورْ
نهجهُ نهجُ صلاحٍ ويقينْ	منْ بهِ استمسَكَ وافاهُ السرورْ

س: ما اسمها أمٌ لأم المؤمنينْ؟

ج: لم أجد بين أمهات المؤمنين من وفدت عليها أمها المشركة. ولكني وجدت قصة في هذا الشأن تتعلق بأم أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما.

وبدا لي أن هذا الشطر يشتمل على سؤالين: الأول هو ما اسمها؟ والثاني هو: أمٌّ لأم المؤمنين، بحذف حرف الاستفهام أي أن السؤال في الأصل هو هكذا: أأمٌّ لأم المؤمنين؟ أو هل هي أم لأم المؤمنين؟

وفي هذه الحال فإن الضمير " ها" في " اسمها" يعود على "أم" وهو متأخر، ولم يُجز الكوفيون عودة الضمير على متأخر لفظاً أو رتبةً. ولكن البصريين لاحظوا أنها حاصلة في كلام العرب وجوزوها لذلك، من مثل قوله تعالى:﴿ فأوجس في نفسه خيفةً موسى ﴾، بعودة الضمير الهاء في " نفسه" على " موسى" وهو متأخر، وكقولهم في الأمثال: "في بيته يؤتى الحكَمُ" بعودة ضمير الهاء في " بيته"

على " الحكَم"، وغيرهما. ومن هنا ترجح لدي أن السؤال هو سؤالان في حقيقة الأمر، وهما:

س: ما اسمها؟

ج: الاسم هو قُتَيلَة أو قَيلة بنت عبد العزى بن سعد من بني مالك بن حِسْل، ووقع عند الزبير بن بكار أن أسمها قيلة، وقال ابن حجر في فتح الباري " وضبطه ابن ماكولا بسكون المثناة، فعلى هذا فمن قال قتيلة صغّرها. قال الزبير: أم أسماء وعبد الله ابني أبي بكر قيلة بنت عبد العزى وساق نسبها إلى حسل بن عامر بن لؤي" (فتح الباري ٥: ٢٧٦).

س: أمٌ لأم المؤمنينْ؟

ج: ليست قتيلة أو قيلة أماً لأم المؤمنين بل هي أمُّ أختِ أمِّ المؤمنين عائشةَ رضي الله عنها، واسم أم عائشة رضي الله عنها هو: أم رومان، وهي من أوائل المسلمات المهاجرات إلى المدينة.

وربما ظن البعض أن قُتيلة كانت أم السيدة عائشة رضي الله عنها بالاعتماد على حديث رواه البزار بسنده عن الزهري عن عروة عن عائشة وأسماء رضي الله عنهما. وقد نقل ابن كثير هذا الحديث في سياق تفسيره لقوله تعالى: ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ* إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الممتحنة ٨-٩). والحديث كما نقله ابن كثير هو: " قدمت علينا أمنا المدينة وهي مشركة في الهدنة التي كانت بين رسول الله صلى

الله عليه وسلم وبين قريش فقلنا: يا رسول الله إن أمنا قدمت علينا وهي راغبة أفنصلها؟ قال: نعم فصِلاها". وعلّق ابن كثير على الحديث بقوله: " قلتُ: وهو منكر بهذا السياق لأن أم عائشة هي أم رومان وكانت مسلمة مهاجرة، وأم أسماء غيرها" (تفسير ابن كثير ٤: ٢٩٧).

والضمير في " علينا، وأمنا، وفقلنا، وأفنصلها، وفصِلاها" هو للمتكلمِين أو المخاطبِين، ومن هنا حصل اللبس. ولئن صحّ الحديث فإنه ينبئ أن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت عنها إنها أمها من جهة التقدير أي إنها بمثابة أمها، أو لم تشأ أن تفصل بينها وبين أختها أسماء لتقول قدمت علينا أم أسماء، والله أعلم.

وقد ورد الحديث في الصحيحين وغيرهما برواية أسماء وحدها وبضمير المفرد في العرض والسؤال والجواب، إذ روى الإمام مسلم في صحيحه عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت: " قدِمتْ عليَّ أمي وهي مشركة، في عهد قريش إذ عاهدهم، فاستفتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلتُ: يا رسول الله، قدِمتْ عليَّ أمي وهي راغبة، أفأصلُ أمي؟ قال: نعم، صلي أمكِ" (صحيح مسلم حديث رقم ١٠٠٣، وينظر صحيح البخاري حديث رقم ٢٦٢٠، ٣١٨٣، ٥٩٧٩ ، سنن أبي داود حديث رقم ١٦٦٨، المعجم الكبير للطبراني حديث رقم ١٩٨٥٧، صحيح الترغيب للألباني حديث رقم ٢٥٠٠).

وجاء في فتح الباري أن قتيلة أقبلت بهدايا: "زبيب وسمن وقرظ فأبت أسماء أن تقبل هديتها أو تدخلها بيتها، وأرسلت إلى عائشة: سلي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: لتدخلها الحديث" (فتح الباري ٥: ٢٧٦، وينظر أسباب النزول للواحدي ٤٥٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤: ١٥٢) وابن كثير في تفسيره (٤: ٢٩٧) والواحدي في أسباب النزول (٤٥٠) وغيرهم أن عائشة رضي الله عنها سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما أرادت أسماء فأنزل الله تعالى ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ ﴾ إلى آخر الآية، فأمرها عليه الصلاة والسلام أن تقبل هديتها وتدخلها بيتها.

س: بَينوا ما قالَ خيرُ المرسلينْ؟

ج: قال عليه الصلاة والسلام: " نعم، صلي أمك"، وفي روايات أخرى "أمرها أن تقبل هديتها وأن تدخلها بيتها" (نيل الأوطار ٦: ١٠٦).

السؤال الرابع والعشرون

لَبِسَ الإحرامَ يرجو الاعتمارْ	قاصداً أنْ ينزلَ البيتَ العتيقْ
قَبِلَ الصُّلحَ على رغمِ الحذارْ	ما هوَ الصُّلحُ الذي كان حقيقْ؟
عندهُ كانَ على الكُفرِ اقتدار	رغمَ هذا كانَ بالقومِ رفيقْ
فهلِ الهادي إلى الكعبةِ سارْ؟	أمْ تُرى قدْ عادَ منْ ذاتِ الطريقْ؟

يتناول الشاعر في هذه الأبيات الرحلة التي قام بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون في ذي القعدة من عام ستة للهجرة لأداء العمرة. وكان عليه الصلاة والسلام قد رأى رؤيا بذلك فأعلن عن عزمه وحث أصحابه على المضي لأداء هذه الشعيرة. وقد بيّن منذ الوهلة الأولى أنه يريد أداء النسك ولا يريد الحرب (السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٣٠٨).

ومع أن غاية الجمع كانت غير حربية إلا أن المسلمين أخذوا معهم أسلحتهم مخافة أن يتعرضوا لعدوان إن لم يكونوا مسلحين (صحيح السيرة النبوية للعمري ٢: ٤٣٥). ولقد ساق المسلمون معهم الهدْي سبعين بدنة لتكون سلميةُ المسيرِ واضحةً لقريش، وفي ذي الحليفة التي تبعد عن المدينة قرابة خمسة عشر ميلاً أحرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهلّ بالعمرة ولكن بشر بن سفيان الكعبي أخبر النبي عليه الصلاة والسلام بأن قريشاً تهيئ نفسها لمواجهته وعدم السماح له بدخول مكة (السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٣٠٩).

ولكي يتجنب الاصطدام بالكفار الذين خرجوا لملاقاته في الطريق فقد سلك طريقاً وعراً مختلفاً عن الطريق المعتاد حتى وصل إلى موضع الحديبية حيث بركت ناقته، فبدا ذلك له علامة من ربه وأبدى استعداده أن يستجيب لما ستعرضه عليه قريش إن كان فيما ستعرضه صلةٌ للرحم وإعلاءٌ لشعائر الله (صحيح البخاري حديث رقم ٢٧٣١-٢٧٣٢، سنن أبي داود حديث رقم ٢٧٦٥، السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٣١١).

ومع أن قريشاً علمت من بعض الرسل أن النبي عليه الصلاة والسلام يريد العمرة وحسب إلا أنها كانت تميل إلى صدّه، فقد قالوا: " وإن كان جاء ولا يريد قتالاً فوالله لا يدخلها علينا عنوةً أبداً ولا تحدّث بذلك عنا العرب" (السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٣١٣). وقد أرسلت قريش أربعين أو خمسين رجلاً ليطيفوا بالمسلمين ليصيبوا أحداً منهم، ولكنهم وقعوا في أيدي المسلمين واقتيدوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي أثبت لقريش سلمية مقصده فرفق بهم وعفا عنهم وخلى سبيلهم (نفسه ٣: ٣١٦). وقد أرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عثمان بن عفان ليخبر أبا سفيان وأشراف قريش أنه لم يأت لحربٍ بل جاء زائراً للبيت العتيق ومعظّماً لحرمته (نفسه ٣: ٣١٧).

ثم بعثت قريش سهيلَ بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا له:" ائتِ محمداً فصالحْه ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا، فوالله لا تحدث العرب أنه دخلها علينا عنوة أبداً" (نفسه ٣: ٣١٩). وعندما اجتمع مبعوث قريش برسول الله عليه الصلاة والسلام تكلما طويلاً وتراجعا ثم جرى بينهما الصلح (نفسه).

س:

قَبِلَ الصُّلحَ على رغمِ الحذارْ ما هوَ الصُّلحُ الذي كان حقيقْ؟

ج: الصلح الذي قبل به عليه الصلاة والسلام هو الذي عرف في التاريخ بصلح الحديبية، وتدور بنوده "على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، ويأمن فيهن الناس، ويكفّ بعضهم عن بعض، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه ردّه عليهم ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يرده عليه، وأن بيننا عيبة مكفوفة (أي تكفوا عنا ونكف عنكم) وأنه لا إسلال ولا إغلال (الإسلال السرقة في الخفية والإغلال الخيانة والخديعة)، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه... وأنك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثاً معك سلاح الراكب والسيوف في القرب، لا تدخلها بغيرها" (نفسه ٣: ٣٢٠).

ولكن المسلمين صعب عليهم أن يقبلوا بهذا الصلح، ولعلهم تحدثوا بشأنه مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكانوا يرونه تنازلاً (ينظر لبيان ذلك الأحاديث في صحيح البخاري رقم ٢٧٣١-٢٧٣٢، ٤١٨٠، ٤١٨٩). وقد بلغ بهم الحزن أنهم لم يتحللوا من إحرامهم عندما أمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم " فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ثلاث مرات، فلما لم يقُم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس. فقالت أم سلمة: يا نبي الله، أتحب ذلك؟ اخرج لا تكلمْ أحداً منهم كلمةً حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك. فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك؛ نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يُقتَل غمّاً" (صحيح البخاري حديث رقم ٢٧٣١، دلائل النبوة ٤: ٩٩ وقال البيهقي: له شواهد).

وقد أدرك المسلمون فيما بعد أنهم كانوا مخطئين إذ ظنوا الصلح مجحفاً بحقهم، فبينما كانوا في طريق العودة أنزل الله تعالى سورة الفتح "وجعل ذلك الصلح فتحاً باعتبار ما فيه من المصلحة وما آل الأمر إليه، كما روى ابن مسعود رضي الله عنه وغيره أنه قال: إنكم تعدّون الفتح فتح مكة ونحن نعدّ الفتح صلح

الحديبية، وقال الأعمش عن أبي سفيان عن جابر رضي الله عنه قال: ما كنا نعد الفتح إلا يوم الحديبية" (تفسير ابن كثير ٤: ١٥٥). وروى الإمام البخاري عن البراء بن عازب أنه قال: " تعُدّون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعُدّ الفتح بيعة الرضوان يومَ الحديبية" (صحيح البخاري حديث رقم ٤١٥٠).

كما أدرك المشركون أيضاً خطأهم حين ظنوا أنهم حققوا نصراً معنوياً حين وافق النبي عليه الصلاة والسلام على إعادة من يخرج إليه من قريش دون إذن وليّه. فقد التزم المسلمون الجدد الخارجون من مكة بما ورد في الاتفاق فلم يذهبوا إلى المدينة ولكنهم كانوا يتجمعون عند الساحل وهاجموا تجارة قريش إلى الشام مما اضطر قريشاً إلى أن تناشد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يُسقط ذلك البند الخاص بإعادة المسلمين دون إذن الولي من المعاهدة وأن يسمح للمتجمعين في الساحل أن يأووا إلى المدينة (صحيح البخاري حديث رقم ٢٧٣١-٢٧٣٢).

لقد كان الصلح في حقيقته فتحاً عظيماً ونصراً كبيراً، فإن عدد المسلمين الذي كان يوم الصلح لا يتجاوز الألفين على أعلى تقدير قد تضاعف خمس مرات خلال عامين بعد الصلح. وعلاوة على ذلك فإن النسوة لم يشملن بنصوص هذه المعاهدة، فعندما جاءت نسوة مؤمنات طلب أولياؤهن إعادتهن طبقاً للمعاهدة ولكن مفهوم صيغة المعاهدة، كما أوردها البخاري، كان ينصرف إلى الرجال لا إلى مطلق القادمين على المسلمين، والنص الذي أورده البخاري هو هكذا: "وعلى أنه لا يأتيك منا رجلٌ، وإن كان على دينك، إلا رددته إلينا" (صحيح البخاري حديث رقم ٢٧٣١)، فلم تدخل النساء في العقد (الرحيق المختوم ٣١٤). ولهذه القضية زاوية اخرى سأعرضها في سياق الجواب على السؤال الخامس والعشرين.

س:

فهلِ الهادي إلى الكعبةِ سارْ؟ أمْ تُرى قدْ عادَ منْ ذاتِ الطريقْ؟

ج: لم يدخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم الكعبة في عام الحديبية على الرغم من أنه قد خرج من المدينة وسار إلى مكة لهذا الغرض، فلقد وقّع عليه الصلاة والسلام بشروط الصلح وبنوده، فقام إلى هديه فنحره ثم جلس فحلق رأسه فلما رأى الناس ذلك سارعوا إلى الاقتداء به في فعله فتحلّلوا (نفسه ٣: ٣٢٢). وعاد في العام القابل، أي السنة السابعة للهجرة، وأدى مع المسلمين مناسك العمرة التي عُرفت بعمرة القضاء.

ويحتمل الشطر الثاني من قول الشاعر المعنى المجازي لعبارة العودة من ذات الطريق، والمعنى المجازي هو أنه لم يفعل ما خرج من أجله، وبحسب هذا المعنى فنعم، إنه عاد من ذات الطريق لأنه لم يؤد العمرة في ذلك العام. ولكن العبارة تحتمل المعنى الحرفي أيضاً وهي تعني في هذه الحال: هل سلك في عودته إلى المدينة الطريق نفسه الذي سلكه في مسيره إلى مكة؟ وبحسب هذا الاحتمال فإنه عليه الصلاة والسلام لم يرجع إلى المدينة من الطريق ذاته الذي سلكه في ذهابه إلى مكة، وقد كانت طريق الذهاب وعرة كثيرة الصخور بين الشعاب، وسلكها المسلمون بأمر من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليتجنبوا المواجهة العسكرية مع كتائب من قريش التي كانت قد خرجت لملاقاتهم وصدّهم عما كانوا يريدون. بل إنه عليه الصلاة والسلام قد سلك طريقاً آخر وخاصة بعد توقيع معاهدة الصلح وزوال أسباب سلوك طريق الذهاب.

السؤال الخامس والعشرون

بعدَ عهدِ الصلحِ حكمُ الله جاءْ فاصلاً قدْ جاءَ في أمرِ النساءْ

فكتابُ اللهِ ماذا حُكْمُهُ؟ عندما هاجرنَ خوفاً ورجاءْ

إنهُ الإسلامُ في عِزتِهِ منبعُ النورِ وعنوانُ الوَفاءْ

قولُهُ الفصلُ وعدلٌ كُلهُ وكذا سيرتهُ عَدْلُ السماءْ

يشير الشاعر في هذه الأبيات إلى ما كان من أمر النسوة المهاجرات بعد صلح الحديبية. وقد كان من بنود الصلح " أنه لا يأتيك منا رجلٌ، وإن كان على دينك، إلا رددته إلينا" وفي رواية أخرى: لا يأتيك أحد. فسواء كان الاحتجاج بلفظ النص " لا يأتيك رجل، أو لا يأتيك أحد" -وهو كما هو واضح بصيغة التذكير لا التأنيث- أو لم يكن فإن الله تعالى بيّن حكم النساء بوضوح في سورة الممتحنة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى

الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ (الممتحنة ١٠-١١).

فقد روى الواحدي في أسباب النزول عن ابن عباس رضي الله عنه أن سُبَيعة بنت الحارث الأسلمية جاءت بعد الفراغ من كتاب الصلح والنبي عليه الصلاة والسلام في الحديبية، فأقبل زوجها وكان كافراً وطلب أن تُردّ إليه امرأته طبقاً للاتفاق، فأنزل الله الآية (أسباب النزول ٤٥١). وأورد ابن كثير في تفسيره أن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط هاجرت فخرج أخواها عمارة والوليد حتى " قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلماه فيها أن يردها إليهما، فنقض الله العهد بينه وبين المشركين في النساء خاصة فمنعهم أن يردوهن إلى المشركين وأنزل آية الامتحان" (تفسير ابن كثير ٤: ٢٩٨). وجمع القرطبي بين الرأيين في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن ١٨: ٥٥) ولكنه سماها سعيدة بنت الحارث، وذكر أيضاً أنه قيل إن المرأة التي جاءت هي أميمة بنت بشر كانت عند ثابت بن الشمراخ ففرّت منه وهو يومئذ كافر فتزوجها سهل بن حنيف فولدت له عبد الله (نفسه).

س: فكتابُ اللهِ ماذا حُكْمُهُ؟

ج: حكم كتاب الله هو:

١-امتحان المؤمنات المهاجرات، فإن تبيّن أنهن لم يخرجن غضباً أو نشوزاً أو رغبة في تغيير الديار وما إلى ذلك، وإنما كان خروجهن لله ورسوله حقيقة فلا يُعَدْنَ إلى الكفار.

روى الطبري بسنده أن ابن عباس سُئل: " كيف كان امتحان رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم النساء؟ قال: كان يمتحنهنّ بالله ما خرجت من بغض زوج، وبالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض، وبالله ما خرجت التماس دنيا، وبالله ما خرجت إلا حبًّا لله ورسوله" (تفسير الطبري ٢٢: ٨٨).

وروى البخاري عن السيدة عائشة رضي الله عنها " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية بقول الله: يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك-إلى قوله-غفور رحيم. قال عروة: قالت عائشة: فمن أقرّ بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: قد بايعتك، كلاماً، ولا والله ما مست يده يد امرأة قط في المبايعة، ما يبايعهن إلا بقوله: قد بايعتك على ذلك" (صحيح البخاري حديث رقم ٤٨٩١، وينظر صحيح ابن ماجة للألباني حديث رقم ٢٣٤٢).

٢- أن المسلمة لا تحِل للكافر كما أن الكافر لا يحِل للمسلمة.

٣- أن لا يمسك المسلمون بعصْم الكوافر، وقد طلّق عمر امرأتين بقيتا على شركهما وطلّق طلحة بن عبيد الله امرأته أروى بنت ربيعة.

٤- أن يدفع المسلمون إلى أزواج المهاجرات من المشركين ما أنفقوه عليهن من الصداق، وحكم على المشركين مثل ذلك إذا جاءتهم امرأة من المسلمين، أي أن يردوا الصداق إلى أزواجهن المسلمين (تفسير ابن كثير ٤: ٢٩٩).

٥- السماح للمسلمين بأن يتزوجوهن بشرط إعطائهن الصداق وانقضاء العدة وإذن الولي وغير ذلك (نفسه ٤: ٢٩٨).

٦- ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ

"أي في الصلح واستثناء النساء منه والأمر بهذا كله هو حكم الله يحكم به بين خلقه" (نفسه ٤: ٢٩٩)، فأمسك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم النساء وردّ الرجال (أسباب النزول ٤٥٢).

٧- لو فرّت امرأة من أزواج المؤمنين إلى المشركين ولم يدفع المشركون لزوجها شيئاً فإن المسلمين لا يدفعون لزوج المؤمنة المهاجرة شيئاً إلى أن يتم الدفع إلى زوج الذاهبة إليهم مثل نفقته عليها ثم ردوا إلى المشركين فضلاً إن كان بقي لهم. وقال العوفي عن ابن عباس: إن لحقت امرأة رجلٍ من المهاجرين بالكفار أمر له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه يُعطَى مثل ما أنفق من الغنيمة. " وهذا

لا ينافي الأول لأنه إن أمكن الأول فهو الأَوْلى وإلا فمن الغنائم اللاتي تؤخذ من أيدي الكفار وهذا أوسع وهو اختيار ابن جرير" (نفسه ٤: ٢٩٩).

وهكذا فقد حفظ الإسلام للمرأة كرامتها واختيارها وكان موقف القرآن من قضيتها في صلح الحديبية موقفاً دالاً على عزة الإسلام وقوته وهو موقف خضع له المشركون. كما أن معالجة أمرها في جوانب الصِّداق كانت معالجة حكيمة وعادلة. فاختيار المرأة لله ورسوله لم يمنع من إتيان زوجها الكافر حقوقه المالية، وبالمثل فقد أوجب الحق على الطرف الآخر إذا حصل معهم موقف مشابه. حقاً عبّر القرآن الكريم في هذه المسألة عن عزة الإسلام وعن عدله الذي عمّ الناس.

السؤال السادس والعشرون

أي عامٍ حَدَثَ الفَتْحُ المُبينْ؟	بعلاماتٍ منَ النصرِ تُبينْ
ونبي اللهِ لما اجتمعوا	هلْ تراهُ أخذ الثأرَ بحينْ؟
ما تُرى قالَ لهمْ في جمعهمْ؟	حينَ خافوهُ وخافوا المسلمين
علموا منهُ الذي قدْ أبصروا	أنهُ الرحمةُ حَقا ويقينْ

س: أي عامٍ حَدَثَ الفَتْحُ المُبينْ؟

ج: حدث فتح مكة عام ٨ هجرية، بعد أن نقض حلفاء قريش بنود الصلح واعتدوا على حلفاء المسلمين، وأعلمَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم الناسَ أنه سائرٌ إلى مكة وأمرهم بالتهيؤ وقال: " اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها" (إسناد الحديث مرسل، السيرة النبوية لابن هشام ٤: ١٥، دلائل النبوة ٥: ١١).

ودخل المسلمون مكة من عدة جهات، وكان قد بعث إلى مكة وهو في سرف- بعد أن أُقتيد أبو سفيان إليه- منادياً ينادي: من أغلق بابه فهو آمن، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن (مجمع الزوائد ٦: ١٧٢، وقال الهيثمي إن في سنده حرب بن الحسن الطحان وهو ضعيف وقد وثِّق، السلسلة الصحيحة للألباني حديث رقم ٣٣٤١، وقال الألباني عنه صحيح بمجموع طرقه). ودخل عليه الصلاة والسلام مكة وحول البيت ثلاثمائة وستون نصُباً " فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: جاء الحق وزهق الباطل، جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد" (صحيح البخاري حديث رقم ٤١٥٣، السيرة النبوية لابن هشام ٤: ٤٠). وقال البخاري في حديث آخر إنه عليه الصلاة والسلام " لما قدم مكة أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة، فأمر بها فأخرجت، فأُخرج صورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما من الأزلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم: قاتلهم الله لقد علموا ما استقسما بها قط، ثم دخل البيت فكبّر في نواحي البيت وخرج ولم يصلّ فيه" (صحيح البخاري حديث رقم ٤١٥٤). وروى ابن هشام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر بالصور فطمِست (السيرة النبوية لابن هشام ٤: ٣٥).

وأورد ابن هشام حديثاً معلقاً نقله عنه آخرون هو " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال، فأمره أن يؤذن، وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة فقال عتاب بن أسيد: لقد أكرم الله أسيداً أن لا يكون سمع هذا فيسمع منه ما يغيظه، فقال الحارث: أما والله لو أعلم أنه محق لاتبعته، فقال أبو سفيان: لا أقول شيئاً، لو تكلمتُ لأخبرتْ عني هذه الحصا. فخرج عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال: قد علمتُ الذي قلتم، ثم ذكر ذلك لهم، فقال الحارث وعتاب: نشهد أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك" (السيرة النبوية لابن هشام ٤: ٣٦، وهو حديث ضعيف).

س: هلْ تراهُ أخذ الثأرَ بحينْ؟

ج: لم يأخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالثأر من أهل مكة الذين هجّروه وأصحابه وعذبوهم وحاربوهم وكانوا يريدون إبادتهم. وإذ انتصر عليهم في الفتح المظفر فإنه عفا عنهم (صحيح السيرة النبوية للعمري ٢: ٤٨١) باستثناء نفر قليل ثم عفا عن بعض هذا النفر أيضاً (السيرة النبوية لابن هشام ٤: ٣٠-٣٢).

س:

ما تُرى قالَ لهمْ في جمعهمْ؟ حينَ خافوهُ وخافوا المسلمين

ج: ما قال لهم ليؤمنهم هو أن " اذهبوا فأنتم الطلقاء".

ولكنه قبل ذلك جمعهم وألقى فيهم كلمة أوردها ابن هشام فقال: " قال ابن إسحاق: فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على باب الكعبة فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرةٍ أو دمٍ أو مالٍ يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج. ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا ففيه الدية مغلظة مائة من الإبل أربعون منها في بطونها أولادها. يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم وآدم من تراب، ثم تلا هذه الآية: يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، الآية كلها".

" ثم قال: يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل فيكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء" (السيرة النبوية لابن هشام ٤: ٣٤، وقال محقق الكتاب عن الحديث في الهامش: إنه ضعيف وذكر مَن أورده مرسلاً أومعضلاً، وقال لبعضه شواهد ضعيفة مرفوعة ومرسلة، وقال الألباني في " دفاع عن الحديث ص ٣٢ ": ليس له إسناد ثابت وهو عند ابن هشام معضل، وأورده في السلسلة الضعيفة رقم ١١٦٣).

وقد أمر عليه الصلاة والسلام خزاعة، وكذلك الآخرين، بأن يرفعوا أيديهم عن القتل " فلقد كثر القتل إن نفع، لقد قتلتم قتيلاً لأدينه، فمن قتل بعد مقامي هذا فأهله بخير النظرين إن شاءوا فدم قاتله وإن شاءوا فعقله. ثم ودى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الذي قتلته خزاعة" (السيرة النبوية لابن هشام ٤: ٣٩).

السؤال السابع والعشرون

منْ إلى مؤتةَ في الشامْ مضى؟	قادةٌ سيرتهمْ ملؤُ الفضا
عدّد القادةَ ما أسماؤهم؟	منْ لهمْ وعدٌ منَ اللهِ انقضىَ
ومن السيفُ الذي جردَهُ؟	ربُنا بالنصر عدلاً وقَضا
في جمادى لثمانٍ عامهمْ	وهمُ الكُرارُ قَدْ نالوا الرضا

س: منْ إلى مؤتةَ في الشامْ مضى؟

ج: الذي مضى إلى مؤتة، وهي قرية بأدنى بَلقاء الشام، جيش مُؤلف من ثلاثة آلاف رجل، وكان ذلك في شهر جمادى الأولى سنة ثمان للهجرة (مجمع الزوائد ٦: ١٦١)

س: عدّد القادةَ ما أسماؤهم؟

ج: القادة الذين سمّاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة هم:

١- زيد بن حارثة
٢- جعفر بن أبي طالب
٣- عبد الله بن رواحة

وهؤلاء هم الذين انقضى وعدٌ من الله لهم فأكرموا بالشهادة، فقد روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمّر زيد بن حارثة فقال: " إن قُتل زيد فجعغر وإن قُتل جعفر فعبد الله بن رواحة" (صحيح البخاري حديث رقم ٤٢٦١). وروى ابن إسحاق حديثاً بهذا المعنى بإسناد مرسل في السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٣٨٥-٣٨٦، وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٦: ١٦١ بسنده عن عروة بن الزبير وقال رجاله ثقات إلى عروة، ورواه البوصيري بسنده عن أبي قتادة في إتحاف الخيرة المهرة ٧: ٢٢٥، ووثّق رواته، وأورده الوادعي في صحيح دلائل النبوة ١٦٦ وقال عنه: صحيح رواته ثقات.

س: ومن السيفُ الذي جردَهُ؟ ربُنا بالنصر عدلاً وقَضا

ج: هو خالد بن الوليد

" إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد المنبر وأمر أن يُنادى بالصلاة جامِعة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ناب خيراً- أو بات خيراً أو ثاب خيراً شك عبد الرحمن- ألا أخبركم عن جيشكم هذا الغازي؟ إنهم انطلقوا فلقوا العدو فأصيب زيد شهيداً فاستغفروا له فاستغفر له الناس، ثم أخذ اللواء جعفر بن أبي طالب فشدّ على القوم حتى استُشهد، أشهد له بالشهادة فاستغفروا له، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فأثبتَ قدميه حتى قُتل شهيداً فاستغفروا له. ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الأمراء، هو أمّر نفسه، ثم رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبعه فقال: اللهم إنه سيف من سيوفك فانصره، فمن

يومئذ سمي خالد سيف الله، ثم قال انفروا فأمِدُّوا إخوانكم، قال فنفَر الناس في حرٍ شديد مشاةً وركباناً" (مجمع الزوائد ٦: ١٥٩، وقال عن: رجاله رجال الصحيح غير خالد بن سمير وهو ثقة. وأخرج الألباني الحديث في أحكام الجنائز ٤٦ وقال إسناده حسن). وقال ابن هشام: " فأما الزهري فقال فيما بلغنا عنه أمّر المسلمون عليهم خالد بن الوليد، ففتح الله عليهم وكان عليهم حتى قفل إلى النبي صلى الله عليه وسلم" (السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٣٩٩).

وقد اتبع خالد بن الوليد خطة بارعة أرعبت العدو وهيَّأت سبل الانسحاب الآمن لجيش المسلمين. فقد غيّر مواقع قواته فنقل من كان في الميمنة إلى الميسرة ونقل من كان في الميسرة إلى الميمنة وذلك لكي يرى مقاتلو العدو وجوهًا جديدة أمامهم في القتال فيظنوا أن المَدَد جاء للمسلمين، كما أنه وللغاية ذاتها أمر قسماً من قواته بأن يتقدموا من الخلف (البداية والنهاية ٤: ٢٤٧-٢٤٨، السيرة النبوية الصحيحة ٢: ٤٦٨)، وقد حققت الخطة هدفها فتقهقر الروم وانسحب المسلمون من غير أن يتعرضوا لمطاردة العدو. وأورد ابن هشام أسماء من استشهد يوم مؤتة، فكان عددهم اثني عشر رجلا (السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٤٠٤) وفقدان هذا العدد من جيش مؤلف من ثلاثة آلاف رجل في مواجهة جيش جرار زاد قوامه على مائة ألف يُعدّ في حد ذاته نصراً كبيراً. وقد تولى خالد قيادة الجيش الإسلامي في محاربة المرتدين وفي فتوح الشام والعراق، وحقق الله تعالى على يديه وبقيادته انتصارات عظيمة في تاريخ المسلمين.

ويستوحي الشاعر في قوله في البيت الأخير "وهمُ الكُرارُ قَدْ نالوا الرضا" الحديث المروي عن عروة بن الزبير بشأن أصحاب مؤتة حين دنوا من المدينة وتلقّاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون، " قال وجعل الناس يحثون على الجيش التراب ويقولون: يا فُرّارُ فررتمْ في سبيل الله!! قال: فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليسوا بالفُرّار ولكنهم الكُرّار إن شاء الله تعالى" (السيرة النبوية لابن هشام ٣: ٣٩٧، البداية والنهاية ٤: ٢٥٣، وقال عنه ابن كثير: مرسل. وقال الألباني عنه: منكر بل باطل (دفاع عن الحديث ٣١).

السؤال الثامن والعشرون

ما دعا المبعوثُ في حَج الوداعْ؟ وبأي الشرعِ بينَ الناس شاعْ؟

كمْ بذاكَ العامِ منْ قدْ شهدوا؟ موسمَ الحَج بأمنٍ واجتماعْ

خاشعٌ للهِ في دعوتهِ نَشَرَ النورَ على كُل البقاعْ

كُل خيرٍ جاءنا منْ عندهِ ولهُ منا اقتفاءٌ واتباعْ

س: ما دعا المبعوثُ في حَج الوداعْ؟

ج: دعا فعل يتعدّى بنفسه فيُقال مثلا دعاه أي ناداه، أو بحرف الجر الباء فيقال دعا بِـ أي: طلب أو بحرف الجر "إلى" أو "اللام" فيقال دعا إلى أو دعا لِـ أي: حثّ على . ومن مصادر هذا الفعل: دعاء ودعوة.

وقد ورد هذا الفعل في البيت متعدياً بنفسه، وأما المفعول به فهو " ما"، وهي تُستعمل عادة لغير العاقل وقد ورد استعماله للعاقل في كلام العرب وفي القرآن الكريم كما في قوله سبحانه وتعالى في سورة النساء: ﴿ فانكحوا ما طاب لكم من النساء ﴾ وفي سورة الكافرون: ﴿ ولا أنتم عابدون ما أعبدُ﴾ .

وعلى هذا الاعتبار، وبالالتفات إلى مصدر الفعل، فإن " ما " يحتمل أمرين كلاهما موجّه للعاقل. أما أوّلهما فإنه مؤسَّس على مصدر الفعل " دعاء"، وهو دعاء العبادة الذي توجّه به عليه الصلاة والسلام إلى الله سبحانه وتعالى، وهذا وإن كان مناجاة لله تعالى فإن فيه أيضاً تعليماً للأمة في أن تقتدي به صلى الله عليه وآله وسلم في التعبد به. وأما الثاني فإنه مبنيٌّ على المصدر الآخر للفعل الذي هو " دعوة"، وهو دعوة تبليغٍ للمسلمين. وجمْعُ هذين المستويين أي الارتباط بالله جلّ وعلا وبيان الطريق الصحيح للناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يشكّل أساساً للشرع الذي عرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم به بين الناس وهو الشريعة الإسلامية الغرّاء.

١: النوع الأول: دعاء العبادة، وذلك أنه دعا الله سبحانه وتعالى بـ:

أ- دعاء التلبية: " لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة والنعمة لك والملك لا شريك لك" (صحيح ابن ماجه للألباني حديث ٢٥١٢، حجة النبي للألباني ٤٥)

ب- دعا بدعاء عرفة، فكان أكثر دعائه صلى الله عليه وآله وسلم عشية يوم عرفة: " لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير. اللهم اجعل في سمعي نوراً وفي بصري نوراً وفي قلبي نوراً. اللهم اغفر لي ذنبي ويسر لي أمري واشرح لي صدري، اللهم إني أعوذ بك من وسواس الصدر ومن شَتَات الأمر ومن عذاب القبر. اللهم إني أعوذ بك من شر ما تهبّ به الرياح ومن شر بوائق الدهر" (كتاب الفتوحات الربانية لابن علان ٤: ٢٤٨، وقال عنه: غريب من هذا الوجه، فضائل الأوقات ٨٦، البدر المنير ٦: ٢٢٧). وكذلك: " كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير (وفي لفظ): أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلتُ أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير" (فتح الغفار للرباعي ٢: ١٠٤٦، وقال عنه: إسناده ضعيف

وله شواهد ضعيفة، وينظر سنن الترمذي حديث رقم ٣٥٨٥، تخريج أحاديث المصابيح لمحمد المناوي ٢: ٣٨٨).

٢: النوع الثاني: هو دعوة التبليغ، أي توجيه الناس إلى ما يجب عليهم فعْلُه. فقد دعا عليه الصلاة والسلام الناسَ ليأخذوا عنه مناسكهم، فقال: " يا أيها الناس خذوا عني مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحجُّ بعد عامي هذا" (صحيح الجامع للألباني حديث رقم ٧٨٨٢ وقال عنه: صحيح. صحيح النسائي حديث رقم ٣٠٦٢، صحيح مسلم حديث رقم ١٢٩٧، وروى الحديث ابن الملقن في البدر المنير ٦: ١٨٣ وقال عنه صحيح، وابن القيسراني في ذخيرة الحفاظ ٣: ١٢٦٧ وضعّف أحد رجال سنده الذي هو أحمد بن بديل الأيامي، وابن عدي في الكامل في الضعفاء ١: ٣٠٥، وقال عنه: ليس هذا الحديث محفوظاً عن حفص، وفيه أحمد بن بديل يُكتب حديثُه مع ضعفه، وآخرون).

كما أنه صلى الله عليه وآله وسلم دعا الناس في الخطب التي ألقاها أيام الحج لكي يسمعوا قوله فلعلّه لا يلقاهم بعد عامه ذاك وبسط لهم الأحكام التي يمكن إيجازها بما يأتي:

أ- علاقة المسلم بربه وتوصية العباد بتقوى الله تعالى.

ب- العلاقات الاجتماعية، وبيّن عليه الصلاة والسلام أن المسلمين إخوة متساوون أياً كانت أجناسهم وألوانهم، وأن معيار التفاضل فيما بينهم هو صلتهم بالله تعالى وتقواهم، " يا أيها الناس، إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا عجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى إن أكرمكم عند الله أتقاكم" (السلسلة الصحيحة للألباني حديث ٢٧٠٠). وحذرهم من التقاتل فيما بينهم ومن اعتداء بعضهم على بعض في الأموال والدماء والأمانات، فقال عليه الصلاة والسلام: " فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرامٌ كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم إلى يوم تلقون ربكم" (صحيح البخاري حديث رقم ١٦٨٤). " ألا لا تظلموا ألا لا تظلموا، إنه لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه... ألا لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم

رقاب بعض... ألا ومن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها" (مجمع الزوائد ٣: ٢٦٨).

ج- وتتحكم الأموال والدماء بالحياة الاجتماعية، ولهذا فقد أبطل عليه الصلاة والسلام أمور الجاهلية دماً كانت أو مالاً فقال: " ألا وإن كل شيء من أمر الجاهلية موضوع تحت قدميّ هاتين، ودماء الجاهلية موضوعة وأول دم أضعه دم ربيعة بن الحارث كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل. وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضعه ربانا ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله" (صحيح ابن ماجه حديث رقم ٢٥١٢).

د- توصية الأمّة بالنساء، وبيان حقوق الأزواج بعضهم على بعض " اتقوا الله في النساء، فإنكم إنما أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فُرُشَكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن فاضربوهن ضرباً غير مبرح. ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف" (صحيح ابن ماجه حديث ٢٥١٢).

هـ - تعليم أولي الأمر بأن الأحكام تجري على الجميع بالسواسية وأن عليهم أن يبدأوا بأنفسهم وذوي رحمهم فذلك أدعى لالتزام الناس بها وتطبيقهم إياها، ولهذا بدأ عليه الصلاة والسلام بدم ابن عمه وربا عمه.

و- التحذير من المعاصي وارتكاب الذنوب حتى وإن كانت صغيرة، " أيها الناس إن الشيطان قد يئس أن يُعبد في أرضكم هذه أبدًا، ولكنه أن يُطاع فيما سوى ذلك فقد رضي به بما تحقّرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم" (فقه السيرة للغزالي ٤٨٧) .

ز- المحافظة على أحكام الله والحذر من تغييرها " (إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلّونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله) ويحرموا ما أحل الله، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، و (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً منها

أربعة حرم) ثلاثة متوالية ورجب الذي بين جمادى وشعبان" (نفسه ٤٨٧-٤٨٨).

ح- التمسك بالكتاب والسنة ففيهما العصمة من الضلال " وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً أمراً بيّناً كتابَ الله وسنة نبيه" (نفسه ٤٨٨).

ط- أشهد الناس مراراً على تبليغه إياهم قائلاً لهم هل بلّغت فكان المسلمون يجيبون أن نعم ويقول عليه السلام اللهم فاشهد.

س: وبأي الشرعِ بينَ الناس شاعْ؟

ج: الشرع الذي انتشر به عليه الصلاة والسلام بين الناس هو الإسلام.

س: كمْ بذاكَ العامِ منْ قدْ شهدوا؟

ج: اجتمع حوله في حجة الوداع لذلك العام مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً أو مائة ألف وأربعة وأربعون ألفاً (الرحيق المختوم ٤٢١).

السؤال التاسع والعشرون

أيُّ يومٍ أيُّ شهرٍ أيُّ عامْ؟	رَحَلَ المبعوثُ مصباحُ الظلامْ
لمْ تَزلْ آياتهُ مشهودةً	في حِمَى طيبةَ والبيتِ الحرامْ
شرعهُ الحقُّ فيا منْ يقتفي	نهجهُ أبشرْ بأمنٍ وسلامْ
جاءها الدنيا بذكرٍ طيِّبٍ	وبحسنِ الذكرِ قدْ كانَ الختامْ

س:

أيُّ يومٍ أيُّ شهرٍ أيُّ عامْ؟ رَحَلَ المبعوثُ مصباحُ الظلامْ

ج: المشهور أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم توفي في يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة ١١ هجرية (البداية والنهاية ٤: ٢٢٣، الرحيق المختوم ٤٣١، السيرة النبوية للصلابي ٢: ٨٨٨).

ولا خلاف في أن الوفاة كانت في يوم الاثنين كما يقول ابن حجر وكاد يكون إجماعاً ولكن الخلاف حاصلٌ في تاريخ اليوم، وأشار ابن حجر في هذا الصدد إلى رواية غريبة عن الشهر الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: " وكانت وفاته يوم الاثنين بلا خلاف من ربيع الأول وكاد يكون إجماعاً، لكن في حديث ابن مسعود عند البزار في حادي عشر رمضان" (فتح الباري ٧: ٧٣٦). ولم أعثر في مسند ابن مسعود عند البزار على الحديث المشار إليه في أن الوفاة كانت في رمضان. وأشار ابن حجر إلى أن التاريخ عند ابن إسحاق والجمهور هو الثاني عشر من ربيع الأول، "وعند موسى بن عقبة والليث والخوارزمي وابن زبر: مات لهلال ربيع الأول، وعند أبي مخنف والكلبي لثانيه ورجحه السهيلي... فالمعتمد ما قال أبو مخنف، وكأنّ سبب غلط غيره أنهم قالوا مات في ثاني شهر ربيع الأول فتغيرت فصارت ثاني عشر، واستمر الوهم بذلك يتبع بعضهم بعضاً من غير تأمل، والله أعلم " (فتح الباري ٧: ٧٣٦). وفي دلائل النبوة (٧: ١٩٩) أن وفاته عليه الصلاة والسلام كانت "يوم الاثنين حين زاغت الشمس لهلال شهر ربيع الأول".

إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الرحمة المهداة، فقد قال الله تعالى فيه في سورة الأنبياء: ﴿ وما أرسلناكَ إلا رحمةً للعالمين﴾. وجمع في ذاته الشريفة الخصال الحميدة والشمائل العالية وبلغ من كمال الخلق أن أثنى الله تعالى عليه فقال: ﴿ وإنّك لعلى خُلُقٍ عظيمٍ﴾. وقد كان عليه الصلاة والسلام بخلقه ومنهجه وسلوكه المصباح الذي أضاء الله تعالى به طريق الحق لعباده ونصر التوحيد ودحر الشرك فعمّ الإسلام أرجاء الجزيرة العربية وأجزاء واسعة من العالم. وطار ذكره عليه الصلاة والسلام في الآفاق، وأفاض في الثناء عليه الدارسون حتى عُدّ واحداً من أبرز الشخصيات العالمية التي أثرت في البشرية على مدار التاريخ. ويقصد المسلمون المدينة المنورة للتشرّف بزيارة مسجده والسلام عليه، صلى الله عليه وآله وسلم، ويتوجهون إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج. وهم في زيارتهم لهاتين البقعتين الشريفتين يستحضرون ذلك التاريخ العظيم

الذي صنعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أقام الدين على أتمه وترك الناس على المحجة البيضاء. لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبصّر الناس بما ينبغي لهم أن يكونوا عليه ولم يُعِقْه عن ذلك حتى كربات الموت، فلقد كانت عامة وصيته "الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانهم حتى جعل يغرغر بها في صدره وما يفيض بها لسانه" (السلسلة الصحيحة ٢: ٥٢٥، مجمع الزوائد ٤: ٢٤٠، وغيرهما). وتجمع النصيحة بين الركن الأعظم في الإسلام وهو الصلاة والمعاملة التي يقوم عليها بنيان الرحمة والمودة والتعاطف. وفي لحظاته الأخيرة سمعته السيدة عائشة رضي الله عنها وهو يقول: "بل الرفيق الأعلى من الجنة"، فقالت: خُيِّرتَ فاخترتَ (فقه السيرة ٤٧٠).

ويستوحي الشاعر هذا التاريخ في أبياته، ويستلْهم آيات من القرآن وأحاديث نبوية في البيت الثالث. فقد قال الله تعالى:﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ وهذا هو الشرع الحق، وقال تعالى: ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ وهذا هو الاقتفاء والأمان، وكذلك هما في قوله عليه الصلاة والسلام: كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى؛ قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى ؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى" (صحيح البخاري حديث رقم ٧٢٨٠).

السؤال الثلاثون

ما اسمها حيثُ التقى القومُ السقيفَهْ؟	ومنْ اختاروا وسَموهُ الخَليفهْ؟
ما هيَ الردةُ؟ ما أسبابها؟	عندَ منْ جَردَ بالغدرِ سيوفهْ
وقفَ الأبطالُ في ساحتها	وقفةً كانتْ لمنْ خانَ مخيفهْ
وأتى النصرُ لقومٍ رفعوا	رايةَ المجدِ مدى الدهرِ منُيفهْ

س: ما اسمها حيثُ التقى القومُ السقيفَهْ؟

ج: المكان الذي تم فيه الاجتماع هو سقيفة بني ساعدة (السيرة النبوية لابن هشام ٤: ٣٦٤، صحيح البخاري حديث رقم ٢٤٦٢).

س: ومنْ اختاروا وسَموهُ الخَليفهْ؟

ج: اختاروا أبا بكر الصديق رضي الله عنه (السيرة النبوية لابن هشام ٤: ٣٦٨، ٣٦٩، البداية والنهاية ٥: ٢١٥، صحيح البخاري حديث رقم ٧٢١٩) ليكون أول خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

س: ما هيَ الردةُ؟ ما أسبابها؟

ج: الرِّدة في اللغة الرجوع. (مختار الصحاح مادة ردد)، وارتد عنه أي تحوّل " وفي التنزيل: (من يرتدد منكم عن دينه)، والاسم الرِّدة ومنه الرِّدة عن الإسلام أي الرجوع عنه، وارتد فلان عن دينه إذا كفر بعد إسلامه"(لسان العرب مادة ردد).
وفي الاصطلاح الكفر بعد الإسلام طوعاً بنطقٍ أو اعتقادٍ أو شكٍ أو فعل، وشروطها العقل والتمييز والاختيار ويتساوى في ذلك الذكور والإناث (الفقه الميسر ٣٨٣، فقه السنة ٢: ٥٩٩).

س: ما أسباب الردّة:

ج: ظهرت الردة حين تسامع الناس بمرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أواخر حياته الشريفة، كالذي حصل من مسيلمة والأسود العنسي وطليحة الأسدي وكان الذي دفعهم لذلك هو حبهم للسلطة ورغبتهم في التسيّد على أجزاء من الأرض في الجزيرة العربية.
فقد أورد البخاري حديثاً جاء فيه أن مسيلمة كان يقول: " إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبِعْتُه، وقدمها في بشر كثير من قومه فأقبل رسول الله صلى الله

عليه وسلم ...وفي يد(ه)... قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة في أصحابه فقال: لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتُكها" (صحيح البخاري حديث رقم ٣٦٢٠). وذكر في حديث آخر أن مسيلمة قدِم المدينة فأتاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي يده قضيب " فوقف عليه فكلمه، فقال له مسيلمة: إن شئت خلينا بينك وبين الأمر ثم جعلته لنا بعدك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لو سألتني هذا القضيب ما أعطيتكه" (صحيح البخاري من حديث رقم ٤٣٧٨).

وكتب مسيلمة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم " (بسم الله الرحمن الرحيم من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله سلام عليك أما بعد فإني قد أُشركتُ في الأمر بعدك فلك المدرُ ولي الوبرُ ولكنْ قريشٌ قوم يعتدون) فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد إلى مسيلمة الكذاب سلامٌ على من اتبع الهدى أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) " (البداية والنهاية ٦: ٢٠٧).

وروى ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: " بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهمني شأنهما فأوحي إليّ في المنام أن انفخهما فنفختُهما فطارا، فأولتهما كذابين يخرجان من بعدي" وقال ابن عباس أحدهما العنسي والآخر مسيلمة (صحيح البخاري حديث رقم ٤٣٧٣، ويُنظر المطالب العالية لابن حجر العسقلاني ٤: ١٨٩، إتحاف الخيرة المهرة للبوصيري ٦: ٣٧٠، وحكم كلاهما أن في الحديث انقطاعاً).

ومن الواضح من هذه الأخبار أن السلطة كانت تحرك مسيلمة واشترطها لاتباع النبي عليه الصلاة والسلام وأنها كانت وراء ردته.

وأما الأسود العنسي فكتب إلى عمّال النبي صلى الله عليه وآله وسلم على اليمن " أيها المتمردون علينا أمسكوا علينا ما أخذتم من أرضنا ووفروا ما جمعتم فنحن أولى به، وأنتم على ما أنتم عليه" (البداية والنهاية ٦: ٣٠٧). وقد تحرك بمن معه من المقاتلين وسيْطر على معظم أجزاء اليمن.

أسباب الردة بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام:

- لعل أول الأسباب هو وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقد قالت عبد القيس لو كان نبياً لما مات، وظهرت فيهم الردة. ولكن الجارود بن المعلّى خطب فيهم وبيّن لهم أن شأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كشأن سابقيه من الأنبياء الذين ماتوا وبيّن لهم الحق فعادوا عما عزموا عليه وثبتوا على دينهم (أبو بكر الصديق للصلابي ٢٥٦). ويتضح هذا السبب أيضاً من رسالة أبي بكر التي طالَب المرتدين فيها بالعودة إلى الإسلام. فقد أورد في رسالته الآيات القرآنية التي تشير إلى أنه عليه الصلاة والسلام سيموت فضلاً عن إيراده قوله هو الذي خاطب به الناس في المسجد بعد الوفاة: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت (ينظر نص الرسالة تاريخ الطبري ٤: ٦٩-٧١، أبو بكر الصديق للصلابي ٢١٣-٢١٤). وإن هذه القبائل التي تذرعت بوفاة النبي عليه الصلاة والسلام قد تخلت عن الإسلام كليةً وعادت إلى ما كانت عليه من عبادة الأوثان.

- رفض قسم من القبائل دفع الزكاة مطلقاً واشترطوا العودة إلى الإسلام مقابل وضع الزكاة عنهم. وكان من رأي عمر أن يتألف الخليفة مانعي الزكاة إلى أن يتمكن في قلوبهم الإيمان فرفض أبو بكر رأيه (البداية والنهاية ٦: ٣١٥). وكان عمر يبني رأيه على قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله" (صحيح البخاري حديث رقم ١٣٩٩)، ولكن أبا بكر ردّ بقوله: " والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها. قال عمر رضي الله عنه: فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر رضي الله عنه فعرفتُ أنه الحق" (نفسه، وينظر سنن النسائي حديث رقم ٣٩٧١ وفي شرح مشكل الآثار ١٥: ٨٢ لو منعوني عقالاً لقاتلتهم عليه).

وتأول بعض مانعي الزكاة قوله تعالى في سورة التوبة ١٠٣﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصلِّ عليهم إن صلوتك سكن لهم﴾ فاعتقدوا "أن

دفع الزكاة إلى الإمام لا يكون، وإنما كان هذا خاصاً بالرسول صلى الله عليه وسلم" (تفسير ابن كثير ٢: ٣٣٢)، أي إن هؤلاء لم يرفضوا الزكاة ولكنهم رفضوا أن يعطوها للخليفة.

- اعتبرت بعض القبائل أن ولاءها كان لشخص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنها صارت في حِلٍّ من التزاماتها معه بوفاته عليه الصلاة والسلام. فقد قال الحطيئة مثلاً:

أطعنا رسول الله ما كان بيننا فيا لعباد الله ما لأبي بكر

أيورثها بكراً إذا مات بعده وتلك لعمر الله قاصمة الظهر (تاريخ الطبري ٤: ٦٥).

- رفض بعض القبائل الخضوع لحكم أبي بكر الصديق رضي الله عنه بدافع العصبية القبلية، كما فعلت طيء، لولا عدي بن حاتم، وفزارة وأسد، فقد أبى هؤلاء أن يبايعوا الخليفة الراشد الأول (تاريخ الطبري ٤: ٧٠). وقد التفّت قبيلة أسد منهم حول طليحة الأسدي وحالفتها غطفان في ردّتها. وكان مسيلمة يقول لأتباعه ما يكشف عن هذه العصبية حين كان يقول: "بماذا صارت قريش أحقَّ بالنبوة والإمامة منكم، والله ما هم بأكثر منكم ولا أنجد، وإن بلادكم لأوسع من بلادهم وأموالكم أكثر من أموالهم" (حركة الردة للدكتور علي العتوم ١٢٤). وكقول طلحة النمري لمسيلمة: " أشهد أنك كذاب وأن محمداً صادق ولكن كذاب ربيعة أحبّ إلينا من صادق مضر" (تاريخ الطبري ٤: ١٠٤).

- اجتماع العصبية والطمع في السيادة والزعامة مع عدم التخلص من التقاليد القبلية كان سبباً في أن يدعي قسم من القبائل النبوة وأن تختار كل قبيلة شخصاً منها ليكون نبياً ولتحقق بالارتداد وادعاء النبوة مآربها. فقد عرض مسيلمة على سجاح التغلبية، وكانت من نصارى العرب، الزواج قائلاً لها: " هل لك أن أتزوجك وآكل بقومي وقومك العرب؟ قالت: نعم! (البداية والنهاية ٦: ٣٢٦، أبوبكر الصديق للصلابي ٢٤٧).

- إن بعض القبائل كانت تظن أن المسلمين في المدينة قد ضعفوا وطمعوا في المدينة وصاروا يعدون أنفسهم للاستيلاء عليها، واقترح بعض الصحابة على أبي بكر أن لا يبعث جيش أسامة لقتال الروم بل يبقيه لحماية المدينة ومحاربة المرتدين، غير أن أبا بكر رفض المقترح بشدة. وقد كان لإنفاذ الجيش تأثير كبير في القبائل التي مرّ بها إذ أن القبائل القريبة التي كانت تتربّص بالمسلمين تقول لولا أن في المسلمين قوة لما أخرجوا هذا الجيش لقتال الروم والعرب من حولهم مرتدّون، فصار جيش أسامة بخروجه رادعاً لهم (البداية والنهاية ٦: ٣٠٤-٣٠٥).

هذه هي الأسباب التي صرح بها المرتدون أو صرّحت بها مواقفهم، وهي الأسباب التي يريدها البيت الثاني: ما أسبابها؟ عندَ منْ جَردَ بالغدرِ سيوفهْ.

وذكر بعض الباحثين أسباباً إضافية مثل:

- إن بعض القبائل لم تسلم رغبةً كبني الحارث بن كعب من أهل نجران الذين راسلوا العنسي وطلبوا منه أن يأتيهم في بلادهم فجاءهم فاتبعوه (أبو بكر الصديق للدكتور علي محمد الصلابي ٢١٩).

- تربص الروم والفرس بالمسلمين وتشجيعهم القبائل على الارتداد واستعانة بعض القبائل بهم كما فعلت قبيلة بكر بن وائل التي توجهت إلى كسرى وعرضت عليه إمارة البحرين، فلقِي العرض قبولاً لديه وأرسل معهم المنذر بن النعمان على رأس قوة مؤلفة من سبعة آلاف فارس وراجل وعدد من الخيل تقارب في أعدادها المائة لمساعدتهم في مواجهة المسلمين (أبوبكر الصديق ٢٩٥).

- عدم تعوّد قسم من القبائل الخضوع للنظام المركزي أو للتشريعات التي أقرّها الإسلام كتحريم الخمر والميسر والربا والزنا وغيرها، ودخول أعداد كبيرة منهم في الإسلام خلال العامين الأخيرين من حياة النبي عليه السلام وعدم تمكّن العقيدة من نفوس الكثيرين منهم (نفسه ١٩٤-١٩٥).

ومهما كانت الأسباب فقد كانت الردة فتنة كبيرة وابتلاء مبيناً، وقد شكّل اتساع رقعتها خطراً فعلياً يهدّد الدولة الإسلامية في ديمومتها. وقد تدارس الصحابة الكرام السبل اللازمة للمعالجة، فوضع الخليفة الراشد أبو بكر الصديق

وبالتشاور مع صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطة لمواجهة المِحنة تقوم على تأمين المدينة المنورة من أن تتعرض لهجوم القبائل المرتدة فجعل على أنقاب المدينة رجالاً من الصحابة يحرسونها بمن معهم من مقاتلين. وكان ممن تولى حراسة الأنقاب علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبد الله، وعبد الله بن مسعود. واستنفر القبائل التي ثبتت على دينها، وكانت قليلة، والثابتين على دينهم من أبناء القبائل المرتدة لمقاتلة المرتدين. ووجّه جيوشاً إلى أجزاء مختلفة من الجزيرة العربية وعلى كل جيش قائد ميداني كخالد بن الوليد، وعكرمة بن أبي جهل، وعمرو بن العاص، وأسامة بن زيد بعد أن عاد من غزو الروم وغيرهم. وقد واجهت جيوش المسلمين، التي خرج الخليفة بنفسه في بعضها، أعداداً ضخمة من المرتدين وخاضوا معهم حروباً ضارية أدّت إلى استشهاد أعداد كبيرة من المسلمين عموماً ومن الصحابة وحفظة القرآن الكريم، ولكن الله سبحانه أيّد جنود الحق ونصر عباده وألحق الهزيمة بالمرتدين الذين قتل الكثير من رؤوسهم وانكسرت شوكتهم وخمدت فتنتهم، وعاد الناس إلى الإسلام وارتفعت راية الحق مرة أخرى عالية في الجزيرة العربية. وشارك التائبون من المرتدين في الفتوحات الإسلامية التي أوصلت النور إلى أقاصي الأرض (ينظر تفاصيل معارك الردة في كتاب الصلابي عن أبي بكر الصديق ٢٠٢، ٢٠٧ وما بعدها).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيراً.

المصادر والمراجع

- إتحاف الخيرة المهرة، أحمد بن أبي بكر البوصيري، دار الوطن، الرياض ١٤٢٠هـ، الطبعة الأولى.
- أحكام الجنائز وبدعها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ١٤١٢هـ، الطبعة الأولى.
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٩هـ.
- أسباب نزول القرآن، أبو الحسن الواحدي، نشره كامل بسيني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٨.
- الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٣٢٨هـ، الطبعة الأولى.
- البحر الزخار (المعروف بمسند البزار)، أحمد بن عمرو البزار، بعناية محفوظ الرحمن زين الله، دار العلوم والحكم، المدينة المنورة ١٤١٥هـ، الطبعة الأولى.
- البداية والنهاية لابن كثير، دار الريان للتراث، ١٩٨٥، الطبعة الأولى.
- البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، عمر بن علي بن الملقن، تحقيق مصطفى أبو الغيط عبد الحي وآخرين، دار الهجرة (السعودية) ١٤٢٥هـ، الطبعة الأولى.
- بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام، علي بن محمد بن القطان، تحقيق الحسين آيت سعيد، دار طيبة، الرياض ١٤١٨، الطبعة الأولى.
- تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري)، مراجعة صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت ١٩٩٨، الطبعة الأولى.

- تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف، عبد الله بن يوسف الزيلعي، تحقيق سلطان فهد الطبيشي، دار ابن خزيمة، الرياض ١٤١٤هـ ، الطبعة الأولى.
- الترغيب والترهيب، عبد العظيم المنذري، تحقيق محمد السيد، دار الفجر للتراث، القاهرة ٢٠٠١، الطبعة الأولى.
- تفسير الطبري، ابن جرير الطبري، نشره محمود محمد شاكر، دار المعارف (مصر) ١٣٧٤هـ.
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، إعداد مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، دار إحياء التراث العربي بيروت دار النفائس الرياض، ١٩٩٧.
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق سامي بن محمد بن عبد الرحمن بن سلامة، الرياض ١٤١٧هـ.
- تفسير المراغي، الشيخ أحمد مصطفى المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٤٦، الطبعة الأولى.
- تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ابن حجر العسقلاني، مكتبة نزار مصطفى الباز ١٩٩٧، الطبعة الأولى.
- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الفكر.
- الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت د.ت.
- جامع المسانيد والسنن، ابن كثير، تحقيق عبد الملك بن دهيش، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة ١٤٢٥هـ الطبعة الثالثة.
- حجة النبي صلى الله عليه وسلم كما رواها عنه جابر رضي الله عنه، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ١٤٠٥هـ ، الطبعة السابعة.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، نشر مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٣، الطبعة الثانية.

- الخصائص الكبرى، السيوطي، دار الكتاب العربي، د.ت، د. مط.
- دراسات في السيرة، الدكتور عماد الدين خليل، مؤسسة الرسالة ودار النفيس، بيروت ١٩٧٨، الطبعة الثالثة.
- در السحابة في مناقب القرابة والصحابة، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق نشأت بن كمال المصري، مكتبة صنعاء الأثرية، صنعاء ٢٠٠٦، الطبعة الأولى.
- دفاع عن الحديث النبوي والسيرة، محمد ناصر الدين الألباني، مؤسسة ومكتبة الخافقين، دمشق د. ت، د. مط.
- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين البيهقي، نشر عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٤، الطبعة الأولى.
- ذخيرة الحفاظ المخرج على الحروف والألفاظ، ابن القيسراني، تحقيق عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي، دار السلف ١٤١٦هـ، الطبعة الأولى.
- الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، دار إحياء التراث (١٩٧٦).
- الرد على البكري، ابن تيمية، تحقيق محمد بن علي بن عجال، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة ١٤١٧هـ الطبعة الأولى.
- الروض الأنف، عبد الرحمن السهيلي، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الإسلامية، مصر، د.ت.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم الجوزية، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ٢٠٠٣، الطبعة الثالثة.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، د.ت.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة، محمد ناصر الدين الألباني، دار المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، د.ت.
- سنن أبي داود، أبو داود السجستاني، (تحقيق) عزت عبيد الدعاس، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٨٩هـ، الطبعة الأولى.

- السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث، طنطا (مصر) ١٩٩٥، الطبعة الأولى.
- السيرة النبوية، أبو الحسن الندوي، دار ابن كثير، بيروت- دمشق، ٢٠٠١، الطبعة الثانية عشرة.
- السيرة النبوية، الدكتور علي محمد الصلابي، مكتبة التابعين، القاهرة ٢٠٠١، الطبعة الأولى.
- السيرة النبوية الصحيحة، الدكتور أكرم العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ١٩٩٢.
- شرح السنة، الحسن بن مسعود البغوي، عني به علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩١، الطبعة الأولى.
- شرح العقيدة الطحاوية، علي بن علي بن أبي العز الحنفي، المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٨٤، الطبعة الثامنة.
- شرح مشكل الآثار، أحمد بن محمد الطحاوي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٥، الطبعة الأولى.
- صحيح البخاري، المكتبة السلفية، القاهرة، ١٩٧٩، الطبعة الأولى.
- صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف ٢٠٠١، الطبعة الأولى.
- صحيح الجامع الصغير، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٨هـ الطبعة الثالثة.
- صحيح سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٩٨٧، الطبعة الأولى.
- صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٩٨٨، الطبعة الأولى.
- صحيح السيرة النبوية، إبراهيم العلي، تقديم عمر سليمان الأشقر، راجعه همام سيد، دار النفائس، الأردن ١٩٩٥، الطبعة الأولى.

- صحيح السيرة النبوية (للحافظ ابن كثير)، محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية، عمّان، الطبعة الأولى، د.ت.
- صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٤هـ.
- الصحيح المسند من أسباب النزول، الشيخ مقبل الوادعي، دار ابن حزم، ١٩٩٤، الطبعة الثانية.
- الصحيح المسند من دلائل النبوة، الشيخ مقبل الوادعي، مكتبة صنعاء الأثرية، صنعاء ٢٠٠٤، الطبعة الثانية.
- الضعفاء الكبير، محمد بن عمر العقيلي، نشر عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣، الطبعة الأولى.
- الطبقات الكبرى، ابن سعد، دار صادر دار بيروت، لبنان ١٩٥٧.
- عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، الشيخ أحمد شاكر، دار الوفاء، المنصورة (مصر) ٢٠٠٥، الطبعة الثانية.
- فتاوى نور على الدرب، إشراف الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض ١٤٢٩هـ، الطبعة الأولى.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق عبد القادر شيبة الحمد، الرياض ٢٠٠١، الطبعة الأولى.
- فتح الغفار الجامع لأحكام سنة نبينا المختار، الحسن بن أحمد الرباعي، أشرف على نشره الشيخ علي العمران، دار عالم الفوائد، ٢٠٠٧، الطبعة الأولى.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق سيد إبراهيم، دار زمزم، الرياض ١٤١٣هـ، الطبعة الأولى.
- فضائل الأوقات، البيهقي، دار ابن حزم، بيروت ٢٠٠٤، الطبعة الأولى.
- فقه السنة، سيد سابق، شركة منار الدولية، القاهرة ١٩٩٧.
- فقه السيرة، محمد الغزالي، خرّج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني، دار الكتب الحديثة، مصر ١٩٦٥، الطبعة السادسة.

- فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٩، الطبعة السادسة.

- الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة، إعداد نخبة من العلماء، تقديم الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة ١٤٢٤هـ .

- الكامل في التاريخ، ابن الأثير، أشرف على نشره عبد الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٨.

- الكامل في ضعفاء الرجال، عبد الله بن أحمد بن عدين نشر علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٨، الطبعة الأولى.

- كتاب الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية، محمد بن علان الصديقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت د.ت.

- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، إسماعيل بن محمد العجلوني، تحقيق أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة ٢٠٠١، الطبعة الثانية.

- كشف المناهج والتناقيح في تخريج أحاديث المصابيح، محمد بن إبراهيم السلمي المناوي، تحقيق محمد إسحاق محمد إبراهيم، الدار العربية للموسوعات، بيروت ٢٠٠٥، الطبعة الأولى.

- لطائف المعارف، ابن رجب الحنبلي، دار ابن كثير، ٢٠٠٠، الطبعة السادسة.

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، مؤسسة المعارف، ١٩٨٥.

- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ١٣٩٨هـ ، الطبعة الأولى.

- المحلى بالآثار، ابن حزم، نشر أحمد شاكر، دار الجيل، د.ت ، د. مط.

- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي ١٤١٤هـ، الطبعة الثانية.
- منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، الناشر جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٠٦هـ، الطبعة الأولى.
- المنهج التربوي للسيرة النبوية، الدكتور منير الغضبان، دار الوفا للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة (مصر) ١٩٩٨، الطبعة الأولى.
- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، ١٩٨٢، الطبعة الثانية.
- هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة لابن حجر العسقلاني، ومعه تخريج الألباني للمشكاة، تحقيق علي بن حسن بن عبد الحميد الحلبي، دار ابن القيم، الدمام ١٤٢٢هـ ، الطبعة الأولى.
- هواتف الجان، أبو بكر الخرائطي، تحقيق إبراهيم صالح، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠١، الطبعة الأولى.